

جهــود المحدثين في رد شبه المستشرقين والمستغربين حول معجزات الرسول ﷺ دراسة تحليلية نقدية

إعداد الدكتورة:

هيفاء عبد الباسط محمد

أستاذ الحديث وعلومه المساعد ورئيس القسم

بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالإسكندرية

جامعة الأزهــــر




مجلة
كلية
الدراسات
الإسلامية
والعربية


مجلة
كلية
الدراسات
الإسلامية
والعربية


بسم الله الرحمن الرحيم


مجلة
كلية
الدراسات
الإسلامية
والعربية

الملخـص

يتنـاول هــذا البحــث جهــود المحــدثين في رد شــبه المستشــرقين والمســتغربين حــول معجـزات الرسـول ﷺ فالسـنة النبويـة هـي الرافـد الثـاني، والينبـوع التـالي لكتـاب الله تعـالى في نقـل أوامـر الله ونواهيـه، ولقـد تعرضـت السـنة لهجمـات بالغـة القسـوة، ولسـهام شـديدة الحـدة مـن أعـداء الإسـلام، مـن كثيـر مـن الاتجاهـات، ومـن أهـم هـذه الاتجاهـات الاستشـراق والاستشـراق يعنـي: الدراسـات الغربيـة المتعلقـة بالشـرق الإسـلامي في لغاتـه وآدابـه، وتاريخـه، وعقائـده، وتشـريعاته، وحضـارته. والسـبب الرئيسـي المباشـر الـذي دعـا الأوربيـين إلـى الاستشـراق هـو سـبب دينـي في الدرجـة الأولـى فالمستشـرقون بـدافع مـن الأحقـاد الدفينـة، والـبغض المعـروف عـن المستشـرقين للإسـلام وعلومـه. والهـدف الخبيـث مـن وراء ذلـك هـو محاربـة السـنة بهـدف إسـقاطها حتـى يفقـد المسـلمون الصـورة التطبيقيـة الحقيقيـة لأحكـام الإسـلام ولحيـاة الرسـول ﷺ وبـذلك يفقـد الإسـلام أكبـر عناصـر قوتـه. ومباحـث هـذا البحـث تتنـاول: مفهـوم الاستشـراق عنـد النقـاد والمستشـرقين، دوافـع الاستشـراق واتجاهاتـه، تفسـير النبـوة عنـد المستشـرقين، دراسـات المستشـرقين في الأحاديـث النبويـة والغايـة منهـا، بعـض الشـبهات التـي أثارهـا المستشـرقون وكيفيـة دفعهـا مـن النقـاد المحـدثين. ثـم تتمـة البحـث وقـد بينـت فيـه أهـم نتـائج هـذا البحـث ومنهـا: شـهادة المنصـفين الغـربيين بنبـوة محمـد ﷺوإثبـات الـوحي. وأن المعجـزة الحيـة الباقيـة حتـى يومنا هذا هي إنجازات الرسول ﷺ.

الكلمات المفتاحية: المحدثين – شبه المستشرقين – معجزات – النبوة – المنصفين.

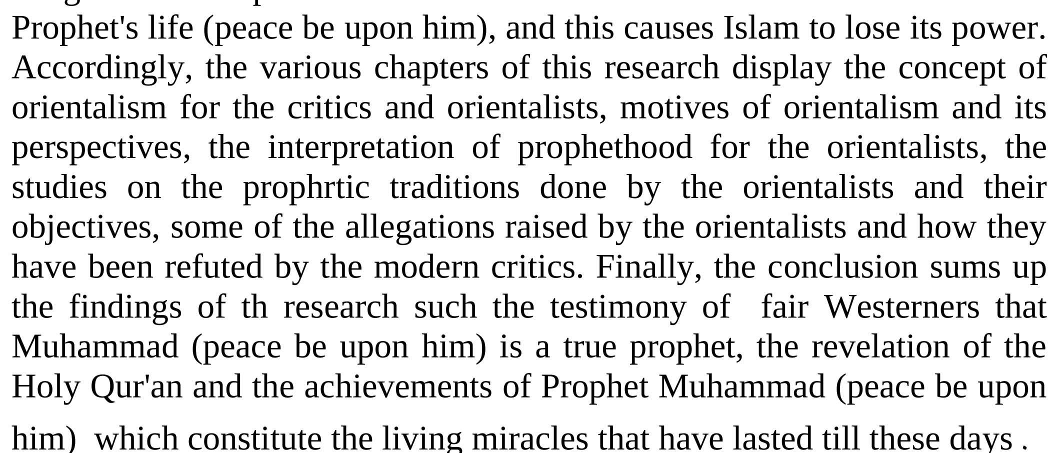
Efforts of the Modernists to refute the Allegations of the Orientalists and the Occidentals against the Miracles of the Prophet

By: Haifaa Abdel-Basset Mohammed
Associate professor of Hadith & Head of the Department
Faculty of Islamic and Arabic Studies for Women in Alexandria
Azhar University



Abstract

This research handles the efforts of the modernists to refute the allegations raised against the miracles of Prophet Mohammed (peace be upon him). As a matter fact, the Sunnah is the second source, after the Holy Qur'an, through which Prophet Muhammad (peace be upon him) conveyed the Holy provisions of Almighty Allah as well as His banning-orders. The Sunnah has been exposed to severe attacks, violent waves and hostile attitudes launched by opponents of Islam from all corners of the world. Orientalism is one of opponents. It simply means the western studies related to the language, literature, history, jurisprudence, legislations and civilization of the Islamic East. The main reason beyond these oriental studies run by the Europeans is purely religious since the Europeans are envious of Islam and its sciences. The inflicted malign purpose is to launch war against the Sunnah so as to deconstruct it until the Muslims lose the truthful pracatical image of Islamic provisions and the


Prophet's life (peace be upon him), and this causes Islam to lose its power. Accordingly, the various chapters of this research display the concept of orientalism for the critics and orientalists, motives of orientalism and its perspectives, the interpretation of prophethood for the orientalists, the studies on the prophrtic traditions done by the orientalists and their objectives, some of the allegations raised by the orientalists and how they have been refuted by the modern critics. Finally, the conclusion sums up the findings of th research such the testimony of fair Westerners that Muhammad (peace be upon him) is a true prophet, the revelation of the Holy Qur'an and the achievements of Prophet Muhammad (peace be upon him) which constitute the living miracles that have lasted till these days .

Key words: modernists, allegations of the orientalists, miracles, prophethood, fair men.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمـــة

إن الحمـد لله، نحمـده ونسـتعينه، ونـؤمن بـه ونتوكـل عليـه، ونعـوذ بـالله مـن شـرور أنفسـنا، ومـن سـيئات أعمالنـا، مـن يهـده الله فـلا مُضـلَّ لـه، ومـن يُضـلِلْ فـلا هـادي لـه، وأشـهد أن لا إلـه إلا الله وحـده لا شـريك لـه، وأشـهد أن سـيدنا محمـداً عبـده ورسـوله، اختـاره لوحيـه، وانتخبـه لرسـالته، وفضـله علـى جميـع خلقـه، فصـلى الله عليـه وعلـى آلـه وأصـحابه والسائرين على نهجه إلى يوم الدين، وسلّم تسليمًا كثيراً.

أما بعد: ....

فالحياة صـراع بين الحق والباطل.. وشـاءت إرادة الله أنْ يُبتلَى المؤمنون، وأنْ تتنوَّع صُـنُوف الابتلاء، وأنْ تكون الغلبة للذين يثبتون ويصـمدون، وهذا الثبات يَهِبُ النفوسَ قوَّةً، ويرفعها عن ذواتها، فيصـفو عنصـرها ويضـيء، ويَهِبُ العقيدة عُمقًا وحيويَّة، فتتلألأ حتى في أعين أعدائها وخصومها!

وقد ابتُلِيَ المسـلمون من قديم الزمان بأعداء ألدَّاء، كادوا ما وسـعهم الكيدُ، وحاكوا المؤامرات والدسـائس للقضـاء على الإسـلام، وذهاب دولته. حينما تلألأت في أعينهم عقيدة هذه الأمَّة، لا يألون في ذلك جهداً، ولا يدَّخرون وسعًا!

وجاهروا بالعداء والمعالنة بالخصـومة أحيانًا، واسـتعملوا أسـاليب الدَسِّ والخديعة أحيانًا أخرى، ووجَّهُوا سـهامهم أولاً إلى التشـكيك في القرآن الكريم، وفاتهم أنه قد روعي في تسـميته قرآنا كونه متلواً بالألسن، وفي تسميته كتابًا كونه مُدَوَّنـًا بالأقلام، وأنَّ كلتا التسميتين – كما يقول المرحوم الدكتور محمد عبد الله دراز [٢] من تسـمية الشـيء بالمعنى الواقع عليه، وفي تسـميته

---

(٢) في كتابه النبأ العظيم : ص١٢ بتصرف .



بهذين الاسمين إشارة إلى أنَّ من حَقِّهِ العناية بحفظه في موضعين، لا في موضع واحد، أعني أنه يجب حفظه في الصدور والسطور معًا، أنْ تضلَّ إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى.



وبهذه العناية المزدوجة التي بعثها الله في نفوس الأمَّة اقتداء بنبيِّها بقي القرآن محفوظًا في حرز حريز، إنجازاً لوعد الله الذي تكفَّل بحفظه، حيث يقول: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾[سورة الحجر: ٩] من الآية: ٩

ولم يصبه ما أصاب الكتب الماضية من التحريف والتبديل وانقطاع السند، حيث لم يتكفَّل الله بحفظها، بل وكلها إلى حفظ الناس فقال تعالى: {وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللهِ} المائدة: ٤٤.

ومن ثم توجَّهُوا إلى السُنَّة النبوية لتحريفها وتشويهها واتَّخذوا للوصول إلى غايتهم الدنيئة أساليب متعددة؛

فمنهم من أنكر السنة النبوية صراحة ودعا إلى نبذها بالكلية، زعمًا منهم أنه لا حاجة إليها وأن في القرآن ما يغني عنها، وفريق آخر رأى الحجية في نوع منها دون غيره، وكلا الأمرين بلا شك انحراف عن جادة الطريق ولقد كان أول من تعرض لهذه المذاهب المنحرفة وردَّ على أصحابها ودحض شبهاتهم هو الإمام الشافعي رحمه الله تعالى وجزاه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء حيث عقد فصلاً خاصًا في كتاب " الأم " ذكر فيه مناظرة بينه وبين بعض من يرون ردَّ السنة كلِّها، كما عقد في كتاب " الرسالة "فصلاً طويلاً في حجية خبر الآحاد، وقد كادت تلك الطوائف التي أنكرت السنة جملة وطعنت فيها أن تنقرض، حتى ظهرت فئة من المستشرقين وأشياعهم في بلادنا العربية والإسلامية والذين لم يألو جهدا في محاولة القضاء على الإسلام وهدم أصوله وأركانه ولقد بحث هؤلاء المستشرقون في كل جوانب الإسلام، فلم يغب عنهم أهمية السنة النبوية من حيث أنها المصدر التشريعي الثاني بعد القرآن الكريم، وفيها توضيحه وبيانه، ولذا

تناولوها بالطعن والتشويه وتلفيق الشبهات المتعددة حولها، وخلال الفترة ما بين النصف الثاني من القرن التاسع عشر حتى الربع الأول من القرن العشرين كان الاستشراق في ذروته لأنه كان مدعوماً من قبل الحكومات الغربية التي كانت توفر له الأسباب المعينة على دراسة العلوم الإسلامية حتى يتمكن الاستعمار الغربي في البلاد الإسلامية، فبحث هؤلاء في كل ما يتصل بالإسلام من تاريخ وفقه وتفسير وحديث وأدب وحضارة حتى غزت تلك البحوث العالم الإسلامي في مؤسساته الفكرية والتربوية ومناهج التعليم، وكان العديد من المسلمين قد تتلمذوا على أيدي أولئك المستشرقين وقد نجح كثير من هؤلاء المستشرقين في التأثير على عقول بعضهم، فانخدعوا بكتاباتهم ودراساتهم حول الإسلام، وهماً منهم أنها قامت على الموضوعية والحياد والإنصاف والتجرد في البحث العلمي، ومن ثم اقتفوا آثارهم، ورددوا دعاواهم التي لم يقيموا عليها أي بينة بل زادوا عليها من أنفسهم، وكل هؤلاء وأولئك نفثوا سمومهم باسم البحث والمعرفة وحرية النقد وهم أبعد ما يكونوا عن العلم الصحيح والبحث القويم والنقد النزيه وبذلك جاءت كتابات هذا الفريق من تلامذة المستشرقين حول الإسلام عموماً والحديث النبوي خصوصاً لا تقلُّ عن كتابات المستشرقين في محاولة إثارة الشبه والتشكيك في مصادر الشريعة الإسلامية.

وسأقوم بإذن الله تعالى في هذا البحث بالرد على بعض الشبهات لهؤلاء المستشرقين ومن شايعهم.

فالمستشرقون بدافع من الأحقاد الدفينة، وبغضهم المعروف للإسلام وعلومه، وبعيداً عن العباءة التي يتستر بها هؤلاء المستشرقون، توجَّهُوا إلى السُنَّة النبوية باعتبارها المصدر الثاني من مصادر التشريع واتَّخذوا للوصول إلى غايتهم الدنيئة أساليب متعددة؛

فتعرضت السنة لهجمات بالغة القسوة، ولسهام شديدة الحدة منهم، من كثير من الاتجاهات فقد أخذوا على عواتقهم مهمة محاربة السنة، والتنقص من قدرها، بدعوى مخالفتها للواقع

المحســوس أو العلمي، يقول المســتشــرق الفرنســي: كارادي فوCorrade Vaux [٢]"ظل محمد زمنـًا طويلاً معروفـًا في الغرب معرفة ســيئة، فلا تكاد توجد خزاية ولا فظاظة إلا نســبوها إليه"[٣] بالإضافة إلى ما كتبه بعض المستشرقين في دائرة المعارف الإسلامية [٤] عن النبيﷺ وما اتهموه به من اتهامات ورفضــهم لكثير من الأحاديث النبوية المقبولة من المســلمين كأحاديث المعجزات النبوية لأن النبي ﷺ بزعمهم لا يمكن أن يقول مثل تلك الأحاديث التي تنافي العقل قائلين أن العقلية الغربية تجد من الصــعوبة بمكان أن تقبل مثل تلك الأحاديث على إنها أحاديث صـحيحة قالها النبي ﷺ وقد تأثر بهذا الفكر الاسـتشـراقي بعض أعداء السـنة المطهرة المنتسبين للإسـلام مما دعاني إلى كتابة هذا البحث تحت عنوان " جهود المحدثين في رد شبه المستشرقين والمستغربين حول معجزات الرسول ﷺ "



ولقد وقع الاختيار على هذا الموضوع الهام بالذات لاعتبارات متعددة منها:

١- إجماع غالبية الدراسات الاستشراقية على نفي صفة الخوارق والمعجزات عن الرسولﷺ.

٢- تصــويب الأخطاء التي وقع فيها بعض المســتشــرقين الذين عالجوا موضــوعات الفكر الإســلامي، ومقومات الحضــارة العربية الإســلامية وتراثها الأدبي، والعلمي، والأخلاقي، والسياسي في لغاتهم، فأساءوا تقديمها لقرائهم، وحرفوا مقولاتها، وشوهوا صورتها عن قصد

---

(١) هو: البارون كاردي فو مستشرق فرنسي (١٨٦٧ - ١٩٥٣) من مؤلفاته عقيدة الإسلام، ومفكرو الإسلام، والغزالي وابن سينا ونقلهم إلى العربية عادل زعيتر .

(٢)في مقدمة عقيدة الإسلام لكاري فو نقلها إلى العربية عادل زعيتر .

(٣) هي موسوعة مؤلفة بالكامل من قبل باحثين أوربيين وهي لا تعبر إلا عن النظرة والمفهوم الأوربي للحضارة الإسلامية. تناقض هذه المفاهيم وتختلف اختلافـًا كبيراً عن المفاهيم التي يؤمن بها ويتبعها المسلمون أنفسهم. وما ذكر في هذه الموســوعة لا يتوافق مع ا لتعاليم والمبادئ الإســلامية للمراجع الإســلامية كالأزهر بل يتناقض معها.

مبيت حيناً، وعن جهل وسوء فهم أحايين أخرى، فكان من الواجب التصدي للمناهج التي انطلقوا منها، ومناقشة النتائج التي انتهوا إليها والرد عليها، وتصويبها بما تقتضي الموضوعية، والنزاهة وروح البحث العلمي.



٣- الرد على مطاعن المتعصبين منهم على الإسلام وعلى صاحب الدعوة في نبوته، ولدحض أقوالهم وتفنيد افتراءاتهم، والكشف عن حقيقة ما يخفون وراء المسوح الدينية أو العلمية، من أغراض استعمارية، أو نزعات صليبية وأن ليس لهم من هدف سوى توهين التعاليم الإسلامية والحط من قيمها الإنسانية وزرع الشكوك حولها في نفوس المسلمين، ولا سيما المثقفون الذين تضاعف إحساسهم بتخلفهم عن الغرب.

٤- ومن الغايات الأخرى توجيه اهتمام الباحثين والدارسين المعاصرين من الشباب العربي المسلم الذين انساق بعضهم إلى التأثر بهذه المناهج، والانبهار بها إلى الأسس التي قامت عليها، وإلى النتائج الخطيرة التي تمخضت عنها، من تشكيك في العقيدة، ودحض للنبوة، وافتراء على التاريخ، وتزييف للحقائق لمساعدتهم على وعي ما تنطوي عليه من مزالق ومحاذير مبطنة بالعلمانية، والتجرد، والموضوعية التي يدعيها بعض هؤلاء المستشرقين.

ففي عصر العولمة والانفتاح الإعلامي تطل علينا شبهات تُبثُّ بين العامة والناشئة والمثقفين، تتنوع في موضوعاتها وأهدافها. والناظر إلى هذه الشبهات يجد أنه تدور حول الطعن في هذا الدين، وترمي إلى نزعه من قلوب أتباعه، ولما كان نزع الدين متين مبني على الحجة والعقل السليم منهم ليس من السهولة بمكان، قصد الطاعنون إلى الطعن بمفردات منه تعد من ثوابته للوصول إلى الغاية التي قال فيها الله جل وعلا: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ﴿١٢٠﴾﴾ [سورة البقرة: ١٢٠]

وقد اعتمد الطاعنون على إثارة إشكالات في السنة النبوية، لزعزعة القدوة، وهدم باب

التسليم والانقياد، ونظراً لوصول الشبهات للعامة والناشئة في سني التلقي والبناء، خاصة بعد ظهور وانتشار وسائل التواصل، والشبكة العنكبوتية والتي ذللت الاستعمار الفكري الذي يفوق في خبثه وخطره كل الأخطار فإن الحاجة ملحة لمعالجة هذا الباب، ومعرفة الطرق السليمة في مواجهة هذه الشبهات والمطاعن، لنحصن الجيل، ونُعمل فكره الناقد، ونحيي في قلبه باب الانقياد والتسليم بعزة وثبات.

أهداف البحث:

١ – بيان دوافع الاستشراق واتجاهاته.

٢ – التعريف بأهداف المستشرقين، والأحقاد الدفينة، والبغض المعروف عن المستشرقين للإسلام وعلومه.

٣– إثبات معجزات النبي ﷺ.

٤ – دفع أثر شبهات المستشرقين وأباطيلهم على المسلمين.

٥ – بيان لأحاديث طعن فيها المستشرقون بحجة مخالفتها للمعقول.

خطة البحث:

وقد قسمت هذا البحث إلى مقدمة، ومبحثين، وخاتمة، على النحو التالي:

– المقدمة: وذكرت فيها سبب اختيار الموضوع، وأهميته، وأهدافه، وخطة البحث.

– **المبحث الأول**: **مفهوم الاستشراق ودوافعه وأهدافه ووسائله ومنهجه**

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: مفهوم الاستشراق ونشأته.

المطلب الثاني: دوافع الاستشراق وأهدافه.

المطلب الثالث: وسائل المستشرقين في تحقيق أهدافهم.

المطلب الرابع: منهج المستشرقين للبحث العلمي.

- **المبحث الثاني**:

بعض الشبهات المثارة حول معجزات الرسول ﷺ وتفنيدها.

المطلب الأول: موقف المستشرقين من المعجزات النبوية.

المطلب الثاني: الإنكار الكلي للسنة [١] (إنكار الوحي)

المطلب الثالث: الإنكار الجزئي للسنة:

. عرض آراء بعض المستشرقين.

أولاً: الشبهات المثارة حول حادثة شق الصدر عرض ونقد.

ثانيـًا: الشبهات المثارة حول حادثة انشقاق القمر عرض ونقد.

- **الخاتمة**: وتشـتمل على أهم النتائج التي توصـلـت إليها في هذا البحث وقائمة بالمصـادر والمراجع.

مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية

(١) ليس المقصود الإنكار المطلق بل إنكار الحجية أي أنها ليست ملزمة للأمة .

المبحـــث الأول

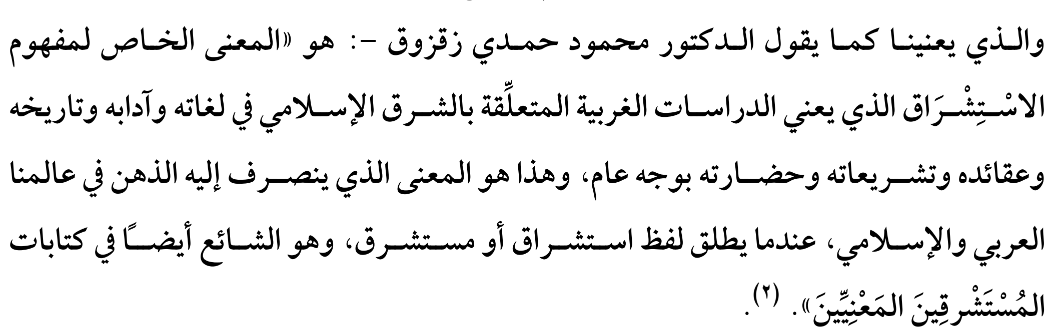
مفهوم الاستشراق ودوافعه وأهدافه ووسائله ومنهجه

المطلب الأول

مفهوم الاسْتِشْرَاق ونشأته



يطلق لفظ الاسْـتِشْـرَاق على طلب معرفة ودراسـة اللغات والآداب الشـرقية، ويطلق لفظ المُسْتَشْرِقِ على الدارس للغات الشرق وفنونه وحضارته، وعليه فَالاسْتِشْرَاقُ دراسة يقوم بها غير الشَرْقِيِّينَ لتُراث الشرق، هذا من حيث المفهوم الواسع.



والـذي يعنينـا كمـا يقول الـدكتور محمود حمـدي زقزوق -: هو «المعنى الخـاص لمفهوم الاسْـتِشْـرَاق الذي يعني الدراسـات الغربية المتعلِّقة بالشـرق الإسـلامي في لغاته وآدابه وتاريخه وعقائده وتشـريعاته وحضـارته بوجه عام، وهذا هو المعنى الذي ينصـرف إليه الذهن في عالمنا العربي والإسـلامي، عندما يطلق لفظ اسـتشـراق أو مسـتشـرق، وهو الشـائع أيضـًا في كتابات المُسْتَشْرِقِينَ المَعْنِيِّينَ». [٢].

وقد حظي الإسـلام واللغة العربية باهتمام المُسْـتَشْـرِقِينَ الذين أَوْلَوْا هذين الموضـوعين عنايتهم أَيَّمَا عناية، وشـملوهما باهتمام دون غيرهما من سـائر الموضـوعات، وهذا مِمَّا يلفت النظر إلى معرفة أسـباب هذه العناية - كما سـيأتي - وحسـبنا هنا أنْ نذكر قول المسـتشـرق«جون تاكلي»: «يجب أنْ نسـتخدم كتابهم - أي القرآن الكريم - وهو أمضـى سـلاح في الإسـلام، ضِـدَّ الإسـلام نفسـه، لنقضـي عليه تمامـًا، يجب أنْ نُري هؤلاء الناس أنَّ الصـحيح في القرآن ليس جديداً، وأنَّ الجديد فيه ليس صـحيحـًا! » ويقول «جِبْ»: «إنَّ الإسـلام مَبْنِيٌّ على الأحاديث أكثر مِمَّا هو مَبْنِيٌّ على القرآن، ولكننا إذا حذفنا الأحاديث الكاذبة لم يبق من الإسلام شيء» [٣]!.

---

(١) الاستشراق الخلفية الفكرية للصراع الحضاري للدكتور محمود حمدي زقزوق ص١٨ .

(٢) التبشير والاستعمار ص٤٠ للدكتور مصطفى خالدي والدكتور عمر فروخ .

ولقد قُدِّرَ للقرآن الكريم أنْ يحتضن الإسلام واللغة العربية، كما قُدِّرَ للحديث النبوي ذلك، ومن ثم أصبحا أغنى المواضيع عند المُسْتَشْرِقِينَ على الإطلاق، واستأثرا باهتمامهم، فتوفَّروا عليهما، وبحثوا في كل ما قدروا عليه من علومهما، ودارت حولهما بحوثهم الأكاديمية بصــورة تلفت النظر، وتسـترعي الانتباه، وتسـتوقف الباحث المتأمل، ولا نكون غالين ولا مُتزيِّدين إذا قلنا: إنَّ القرآن والسُنَّة هما المحور الأساسي الذي تدور حوله الدراسات الاستشراقية.



يقول الدكتور محمود حمدي زقزوق: [٢] «ومن الصـعب تحديد تاريخ مُعَيَّنٍ لبداية الاسْـتِشْـرَاق وإذا كان بعض الباحثين يشـير إلى أنَّ الغرب النصـراني يؤرِّخ لبدء وجود الاسْـتِشْـرَاق الرسـمي بصـدور قرار مجمع فِيِنَّا الكَنَسِي في عام ١٣١٢ هـ بإنشاء عدد من كراسي اللغة العربية في عدد من الجامعات الأوربية، ولكن الإشــارة هنا إلى «الاسْــتِشْــرَاق الكَنَسِــي» تدل على أنه كان هناك اسْتِشْرَاق غير رسـمي قبل هذا التاريخ، فضـلاً عن أنَّ هناك باحثين أُورُوبِيِّينَ لا يعتمدون التاريخ المُشـار إليه بداية للاِسْتِشْرَاقِ، ولذلك تتَّجه المحاولات في هذا الصـدد لا إلى تحديد سَـنَةٍ مُعَيَّنة لبداية الاسْــتِشْــرَاق، وإنما إلى تحديد فترة زمنية مُعَيَّنة على وجه التقريب، يمكن أنْ تُعَدَّ بدايةً للاِسْـتِشْـرَاقِ، فقد ذكرت مجلة المجمع العلمي العربي أن تاريخ الاسـتشـراق في بعض البلدان الأوربية يرجع إلى القرن الثالث عشـر الميلادي، وربما كان هناك محاولات فردية قبل ذلك، غير إن المؤرخين يكادون يجمعون على أن الاسـتشـراق انتشـر في أوروبا بصـفة جدية بعد فترة " عهد الإصلاح الديني " وليس هناك شك في أنَّ الانتشار السريع للإسلام في المشرق والمغرب قد لفت بقوة أنظار رجـالات اللاَّهوت النصــراني إلى هـذا الـدين، ومن هـنـا بـدأ اهتمـامهم بـالإســلام ودراسته..[٣]

---

(١) الاستشراق الخلفية الفكرية للصراع الحضاري ص١٨ وما بعدها .

(٢) الاستشراق لادور سعيد ص٨٠، مجلة المجمع العلمي العربي المجلد الثالث في عام ١٩٢٣م ص٣ .





المطلب الثاني

دوافع الاستشراق وأهدافه

تتداخل دوافع الاستشراق وقد اختلف العديد من الباحثين في تقسيمها فكان أهم هذه الدوافع هو الدافع الديني، وهو من الأهداف الواضحة، فقد صاحب الاستشراق منذ ظهوره حتى الآن. فبعد ظهور الإسلام وانتشار المراكز والمعاهد الإسلامية في أقطار البلاد العربية ازدهرت الحضارة الإسلامية فأحس الغرب بالتهديد فأدى إلى لجوئه إلى التبشير بالدين المسيحي.

فقد تركت الحرب الصليبية في نفوس الأوربيين ما تركت من أثار مرة عميقة. وجاءت حركة الإصلاح الديني المسيحي فشعر المسيحيون: بروتستانت وكاثوليك، بحاجات ضاغطة لإعادة النظر في شروح كتبهم الدينية، ولمحاولة تفهمها على أساس التطورات الجديدة التي تمخضت عنها حركة الإصلاح. ومن هنا اتجهوا إلى الدراسات العبرانية وهذه أدت بهم إلى الدراسات العربية فالإسلامية، لأن الأخيرة كانت ضرورية لفهم الأولى، وخاصة ما كان منها متعلقاً بالجانب اللغوي. [٢]

ومن جهة أخرى رغب المسيحيون في التبشير بدينهم بين المسلمين فأقبلوا على الاستشراق ليتسنى لهم تجهيز الدعاة وإرسالهم للعالم الإسلامي.

والتقت مصلحة المبشرين مع أهداف الاستعمار فمكن لهم، واعتمد عليهم في بسط نفوذه في الشرق. وأقنع المبشرون زعماء الاستعمار بأن" المسيحية " ستكون قاعدة الاستعمار الغربي في الشرق.

وبذلك سهل الاستعمار للمبشرين مهمتهم وبسط عليهم حمايته، وزودهم بالمال والسلطان، وهذا هو السبب في أن الاستشراق قام في أول الأمر على أكتاف المبشرين، والرهبان ثم اتصل

---

(١) انظر الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام لعلي عبدالحليم محمود عبدالستار ص١٠٠ بتصرف .



بالاستعمار. (٢)

وبجانب هذا وذاك، كان هناك أسباب أخرى فرعية لنشأة الاستشراق، أسباب تجارية، وأسباب سياسية دبلوماسية، وأسباب شخصية مزاجية عند بعض الناس الذين تهيأ لهم الفراغ والمال واتخذوا الاستشراق وسيلة لإشباع رغباتهم الخاصة في السفر أو في الاطلاع على ثقافات العالم القديم.



ويبدوا أن فريقاً من الناس دخلوا ميدان الاستشراق من باب البحث عن الرزق عندما ضاقت بهم سبل العيش العادية، أو دخلوه هاربين عندما قعدت بهم إمكانياتهم الفكرية عن الوصول إلى مستوى العلماء في العلوم الأخرى، أو دخلوه تخلصاً من مسئولياتهم الدينية المباشرة في مجتمعاتهم المسيحية. أقبل هؤلاء على الاستشراق تبرئة لذمتهم الدينية أمام إخوانهم في الدين، وتغطية لعجزهم الفكري (٣)

أما المستشرقون اليهود خاصة فالظاهر أن هؤلاء أقبلوا على الاستشراق لأسباب دينية، وهي محاولة إضعاف الإسلام والتشكيك في قيمه بإثبات فضل اليهودية على الإسلام بادعاء أن اليهودية، في نظرهم هي مصدر الإسلام الأول، ولأسباب سياسية تتصل بالصهيونية فكرة أولاً ثم دولة ثانياً (٤)

فالمستشرقون أدمغة الحملات الصليبية الحديثة، وشياطين الغزو الثقافي للعالم الإسلامي، ظهروا في حلبة الصراع في فترة كان المسلمون فيها يعانون من الإفلاس الحضاري والخواء

---

(١) افتراءات المستشرقين على الإسلام للدكتور عبدالعظيم المطغي ص٣٢ وما بعده بتصرف .

(٢) المبشرون والمستشرقون في موقفهم من الإسلام ص١٢ ، والمجلدين الثالث والرابع من مجلة المجمع العلمي العربي ١٩٢٣، ١٩٢٤م .

(٣) المبشرون والمستشرقون في موقفهم من الإسلام ص١٣ .

الروحي، وفقدان الذات، مما جعل الفرصة سانحة لأولئك الأحبار والرهبان، وجنود الصليبين الموتورين، كي يثأروا لهزائمهم الماضية وينفثوا أحقادهم الدفينة (٢).

واقتضت خطة وجودهم في عصر يعبد العلم ويضفي عليه قداسة الوحي في العصور السابقة أن يخلعوا عن كوالهم مسوح الرهبان والأحبار، وسلاح الميدان، ويرتدوا لباس العلم ومسوح المعرفة، ثم جندوا آلاف المخطوطات، ومئات المؤسسات الثقافية المختلفة، لمعركة استئصال الإسلام وعكفوا في صوامع البحث يديرون الصراع المرير بخبث ودهاء.

أهداف الاستشراق:

تنقسم أهداف المستشرقين في جُملتهم من الدراسات الاستشراقية إلى ثلاثة أقسام:

(أ) هدف علمي مشبوه ويهدف إلى:

١ - التشكيك بصحة رسالة النبي ﷺ.

وهو يتمثل في التشكيك في صحة رسالة النبي ﷺ، والزعم بأن الحديث النبوي إنما هو عمل المسلمين خلال القرون الثلاثة الأولى

فجُمهورهم ينكر أن يكون الرسول نبيًا موحى إليه من عند الله - جلَّ شَأْنُهُ - ويتخبَّطون في تفسير مظاهر الوحي التي كان يراها أصحاب النبي ﷺ أحيانًا، وبخاصة عائشة أم المؤمنين - رضي الله عنها -، فمن المستشرقين من يرجع ذلك إلى " صرع " كان ينتاب النبي ﷺ حينًا بعد حين، ومنهم من يرجعه إلى تخيلات كانت تملأ ذهن النبي ﷺ ومنهم من يفسرها بمرض نفسي، وهكذا، كأن الله لم يرسل نبيًا قبله حتى يصعب عليهم تفسير ظاهرة الوحي، ولما كانوا كلهم ما بين يهود ومسيحيين يعترفون بأنبياء التوراة، وهم كانوا أقل شأنًا من محمد ﷺ في التاريخ والتأثير

(١) الاستشراق والمستشرقون: دكتور مصطفى السباعي ص١٩.

والمبادئ التي نادى بها، كان إنكارهم لنبوة النبيﷺ تعنتـًا مبعثه التعصبُ الديني الذي يملأ نفوس أكثرهم كرُهبان وقسس ومبشرين [٢].

ويتبع ذلك إنكارهم أن يكون القرآن كتاباً منزلاً علي الرسـول ﷺ من عند الله – ﷻ – وحين يفحمهم ما ورد فيه من حقائق تاريخية عن الأمم السـابقة مما يسـتحيل صـدوره عن أُميٍّ مثل محمد ﷺ يزعمون ما زعمه المُشـركون الجاهليون في عهد الرسـولﷺ من أنه اسـتمدَّ هذه المعلومات من أناس كانوا يخبرونه بها، ويتخبطون في ذلك تخبطـًا عجيبـًا، وحين يفحمهم ما جاء في القرآن من حقائق علمية لم تعرف وتكتشـف إلا في هذا العصـر، ويرجعون ذلك إلى ذكاء النبي ﷺ فيقعون في تخبط أشدَّ غرابة من سابقه [٣].

٢- إنكارهم أن يكون الإسلام دينـًا من عند الله:

ويتبع إنكارهم لنبوة الرسـولﷺ وسـماوية القرآن، إنكارهم أن يكون الإسـلام دينـًا من عند الله وإنما هو مُلَفَّقٌ – عندهم – من الديانتين اليهودية والمسـيحية، وليس لهم في ذلك مُسـتند يؤيِّدُهُ البحث العلميّ، وإنما هي ادعّاءات تسـتند على بعض نقاط الالتقاء بين الإسـلام والديانتين السابقتين. [٤]

٣- التشكيك في صحة الحديث النبوي:

التشـكيك في صـحة الحديث النبوي الذي اعتمده علماؤنا المُحققون، والهدف الخبيث من وراء ذلك هو محاربة السـنة بهدف إسـقاطها حتى يفقد المسـلمون الصـورة التطبيقية الحقيقية لأحكام

---

(١) موقف الاستشراق من السنة النبوية: لأكرم بن ضياء العمري ص٦٥ .

(٢) المستشرقون والقرآن الكريم لأسامة يس محمد إبراهيم ص٣٩ ، وموقف الاستشراق من السنة النبوية : لأكرم بن ضياء العمري ص٦٥ .

(١) الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم د. مصطفى السباعي ص٢٧ .



الإسلام ولحياة الرسول ﷺ وبذلك يفقد الإسلام أكبر عناصر قوته، ويتذرع هؤلاء المستشرقون بما دخل على الحديث النبوي من وضع ودَسّ، متجاهلين تلك الجهود التي بذلها علماؤنا لتنقية الحديث الصحيح من غيره، مستندين إلى قواعد بالغة الدقة في التثبت والتحرِّي، مما لم يُعهد عندهم في ديانتهم عشر معشاره في التأكد من صِحَّة الكتب المقدَّسة عندهم واعتمدوا في ذلك على الأحاديث الضعيفة والأخبار الموضوعة في سبيل تدعيم آرائهم وبناء نظرياتهم (٢).

والذي حملهم على ركوب متن الشطط في دعواهم هذه، ما رَأَوْهُ في الحديث النبوي الذي اعتمده علماؤنا من ثروة فكرية وتشريعية مُدهشة، وهُمْ لا يعتقدون بنبوّة الرسول، فادَّعوا أنَّ هذا لا يعقل أن يصدر كله عن محمد الأُمِيِّ بل هو عمل المسلمين خلال القرون الثلاثة الأولى، فالعقدة النفسية عندهم هي عدم تصديقهم بنبوة الرسول ﷺ، ومنها ينبعث كل تخبطاتهم وأوهامهم (٣).

(ب) الأهداف الدينية والسياسية:

وتتلخص فيما يلي:

١- تشكيك المسلمين بنبيهِّم وقرآنهم وشريعتهم وفقههم، ففي ذلك هدفان: ديني واستعماري.

٢- تشكيك المسلمين بقيمة تُراثهم الحضاري، يَدَّعُونَ أنَّ الحضارة الإسلامية منقولة عن حضارة الرومان، ولم يكن العرب والمسلمون إلا نقلة لفلسفة تلك الحضارة وآثارها، لم يكن لهم إبداع فكري ولا ابتكار حضاري، وكان في حضاراتهم كل النقائص، وإذا تحدثوا بشيء عن حسناتها – وقليلاً ما يفعلون – يذكرونها على مضض مع انتقاص كبير.

٣- إضعاف ثقة المسلمين بتراثهم، وبث روح الشك في كل ما بين أيديهم من قيم وعقيدة ومُثُلٍ

---

(١) المستشرقون والقرآن الكريم : لأسامة يس محمد إبراهيم ص٣٩ .

(٢) المستشرقون والقرآن الكريم : لأسامة يس محمد إبراهيم ص٣٩ ، وموقف الاستشراق من السنة النبوية ص٦٧.

عُليا، ليســهل على الاســتعمار تشــديد وطأته عليهم، ونشـــر ثقافته الحضـــارية، وكان الهدف الاستراتيجي من حملة التشويه ضد الإسلام هو حماية أوربا من قبول الإسلام بعد أن عجزت عن القضاء عليه من خلال الحروب الصليبية [٢].

٤- حَجْبُ حقائق الإسلام عن غير المسلمين، ومحاولة تحذيرهم من معرفته. [٣]

٥- إضعاف روح الإخاء الإسلامي بين المسلمين في مختلف أقطارهم عن طريق إحياء القوميات التي كانت لهم قبل الإسلام، وإثارة الخلافات والنعرات بين شعوبهم، ويفضح القس " كالهون سيمون " عن رغبتهم في تفريق المسلمين التي عبر عنها " براون " بقوله: " إن الوحدة الإسلامية تجمع آمال الشعوب السود، وتساعدهم على التملص من السيطرة الأوربية"[٤]، وكذلك يفعلون في البلاد العربية، يجهدون لمنع اجتماع شـــملها ووحدة كلمتها بكل ما في أذهانهم من قدرة على تحريف الحقائق، وتصـيد الحوادث الفردية في التاريخ ليصـنعوا منها تاريخـًا جديداً يدعوا إلى ما يريدون من منع الوحدة بين البلاد العربية والتفاهم على الحق والخير بين جماهيرها [٥].

يقول لورانس براون " Lawrance Brown " [٦]: " إذا اتحد المسـلمون في إمبراطورية عربية، أمكن أن يصبحوا لعنة على العالم وخطراً، وأمكن أن يصبحوا نعمة له أيضـًا، أما إذا بقوا متفرقين

---

(١) الاستشراق في السيرة النبوية ص٥٨.

(٢) المستشرقون والسنة ص٦ .

(٣) التبشير والاستعمار : ص٣٢ .

(٤) موقف الاستشراق من السنة والسيرة النبوية ص٦٥ .

(٥) لوارنس براون : هو كاتب أمريكي تخرج في جامعة كورنيل كلية براون الطبية بجامعة جورج واشــنطن لديه دكتوراه في اللاهوت وفلســفة الدين ، أعاد براون توجيه بؤرة اهتمامه نحو الدراســات الدينية والتي أثمرت عن اقتناع الإسلام باعتباره الدين الحق ١٩٩٤م . (موقعه الرسمي **www.leveltvuth**)

فإنهم يظلون حينئذٍ بلا قوة ولا تأثير " (٢).

فوحدة المسلمين إذن في نظر التبشير(٣) يجب أن تفتت وأن توهن، ويجب أن يكون هدف التبشير هو التفرقة في توجيه المسلمين واتجاهاتهم.



والتبشير إذ يرى هدفه المباشر تفكيك المسلمين، يرى بالتالي درء خطر وحدتهم على استعمار الشعوب الأوربية وعلى استغلالها، واستنزافها لثروات المسلمين. وفي هذا المعنى يقول " لورانس براون ": " الخطر الحقيقي كامن في نظام الإسلام، وفي قوته على التوسع والإخضاع وفي حيويته إنه الجدار الوحيد في وجه الاستعمار الأوربي " (٤)

ويرى المستشرق الألماني بيكر Becker: (٥)" أن هناك عداء من النصرانية للإسلام بسبب أن الإسلام عندما انتشر في العصور الوسطى أقام سداً منيعاً في وجه انتشار النصرانية ثم امتد إلى البلاد التي كانت خاضعة لصولجانها "(٦).

إذن الهدف من ادعاءات هؤلاء المستشرقون هو: الرغبة في الانتقام من الإسلام، وتمكين الأوربي المسيحي من البلاد الإسلامية، لأنه قام في القرون الوسطى في وجه المسيحية بتوهين المسلمين

---

(١) الإسلام والإرساليات" **Islam and Missons**" ص٤٤ نقلاً عن المبشرون والمستشرقون في موقفهم من الإسلام ص٦ .

(٢) الاستشراق لون من ألوان التبشير لاءم نفسه مع ظروف الحياة، وإذا كان الاستشراق نوعاً من أنواع التبشير فمعرفة هدف التبشير يعطينا صورة عن هدف الاستشراق (المرجع السابق).

(٣) في كتاب أصدره في عام ١٩٤٤م نقلا عن المبشرون والمستشرقون ص٨ .

(٤) هو: كارل هينرش بيكر (١٨٧٦ - ١٩٣٣م) مستشرق ألماني وسياسي درس في جامعات لوزان هايدلبرغ وبرلين وسافر إلى أسبانيا والسودان واليونان وتركيا قبل حصوله على الدكتوراه ١٨٩٩ . (موسوعة المستشرقين للدكتور عبدالرحمن بدوي) .

(٥) التبشير والاستعمار ص٥٠ .

وتمزيقهم في التوجيه والاتجاه بطرق مختلفة كالتعليم مثلاً على تهيئة شخصيات شرقية لا تقاوم التبسط الأجنبي [٢]

(ج) أهداف علمية خالصة:



أهداف علمية خالصة لا يقصد منها إلا البحث والتمحيص، ودراسة التراث العربي والإسلامي دراسة تجلو لهم بعض الحقائق الخافية عنهم، وهذا الصنف قليل عدده جداً، وهم مع إخلاصهم في البحث والدراسة لا يسلمون من الأخطاء في البحث والاستنتاجات البعيدة عن الحق، إما لجهلهم بأساليب اللغة العربية، وإما لجهلهم بالأجواء الإسلامية التاريخية على حقيقتها، فيحبون أن يتصوروها كما يتصورون مجتمعاتهم، ناسين الفروق الطبيعية والنفسية والزمنية التي تفرق بين الأجواء التاريخية التي يدرسونها، وبين الأجواء الحاضرة التي يعيشونها.

ومن هؤلاء من يؤدي بهم البحث الخالص لوجه الحق إلى اعتناق الإسلام والدفاع عنه في أوساط أقوامهم الغربيين، كما فعل المستشرق الفرنسي" دينيه " الذي عاش في الجزائر، فأعجب بالإسلام، وتسمى باسم " ناصر الدين دينيه" وألف مع عالم جزائري كتاباً عن سيرة الرسول ﷺ بين فيه تحامل قومه على الإسلام ورسوله، وقد توفى هذا المستشرق المسلم في فرنسا، ونقل جثمانه إلى الجزائر ودفن بها[٣].

---

(١) انظر المرجع السابق .

(٢) موقف الاستشراق من السنة والسيرة النبوية ص٦٥ .





المطلب الثالث

وسائل المستشرقون لتحقيق أهدافهم

إن وسائل المستشرقين لتحقيق أهدافهم وتوهين المسلمين لم يكن الدعوة للمسيحية والعمل على ارتداد المسلمين إلى النصرانية مباشرة، وإنما كان طريقة لتشويه الإسلام، ومحاولة إضعاف قيمة ثم تصوير المسلمين في وضعهم الحالي بصورة مزرية بعيدة عن المستوى الحضاري في عصرنا الحاضر.

فحاول المستشرقون أن يحققوا أهدافهم بكل الوسائل: ألفوا الكتب، وألقوا المحاضرات والدروس، وبشروا بالمسيحية بين المسلمين، جمعوا الأموال وأنشأوا الجمعيات، وعقدوا المؤتمرات، وأصدروا الصحف، وسلكوا كل مسلك ظنوه محققاً لأهدافهم [٢]. ولم يتركوا وسيلة لنشر أبحاثهم وبث آرائهم إلا سلكوها، ومنها:

١ – تأليف الكتب في موضوعات مختلفة عن الإسلام واتجاهاته ورسوله وقرآنه، وفي أكثره كثير من التحريف المتعمد في نقل النصوص أو ابتارها، وفي فهم الوقائع التاريخية، والاستنتاج منها.

٢ – إصدار المجلات الخاصَّة ببحوثهم حول الإسلام وبلاده وشعوبه.

٣– إرساليات التبشير إلى العالم الإسلامي لتزاول أعمالاً إنسانية في الظاهر كالمستشفيات والجمعيات والمدارس والملاجئ والمياتم، ودُور الضيافة كجمعيات الشُبَّان المسيحية وأشباهها.

(١) المبشرون والمستشرقون في موقفهم من الإسلام ص١٢ .

٤ – إلقـاء المحاضـرات في الجامعـات والجمعيـات العلميـة، ومـن المؤسـف أن أشـدهم خطـراً وعـداءً للإسـلام كـانوا يسـتدعون إلـى الجامعـات العربيـة والإسـلامية في القـاهرة ودمشق وبغداد والرباط وكراتشي ولاهور وغيرها ليتحدثوا عن الإسلام. [٢]

٥– مقـالات في الصـحف المحليـة عنـدهم، وقـد اسـتطاعوا شـراء عـدد مـن الصـحف المحلية في بلادنا[٣].

٦– عقـد المـؤتمرات لإحكـام خططهـم في الحقيقـة، ولبحـوث عامـة في الظـاهر، ومـا زالـوا يعقدون هذه المؤتمرات منذ عام ١٧٨٣م حتى الآن. [٤]

٧– إنشـاء الموسـوعة " دائـرة المعـارف الإسـلامية"، وقـد أصـدروها بعـدة لغـات، وبـدأوا بإصـدار طبعـة جديـدة منهـا عـام ١٩٥٦م وقـد بـدئ بترجمـة الطبعـة الأولـى إلـى اللغـة العربيـة، وصـدر منهـا حتـى الآن ثلاثـة عشـر مجلـداً. وفي هـذه الموسـوعة التـي حشـد لهـا كبـار المستشـرقين وأشـدهم عـداءً للإسـلام، وقـد دَسَّ السُـم، وملئـت بالأباطيـل عـن الإسـلام ومـا يتعلـق بـه. ومـن المؤسـف أنهـا مرجـع لكثيـر مـن المثقفـين عنـدنا بحيـث يعتبرونهـا حُجَّـة فيمـا تـتكلم بـه، وهـذا مـن مظـاهر الجهـل بالثقافـة الإسـلامية وعقـدة الـنقص عند هؤلاء المثقفين [٥].

---

(١) الاستشراق والمستشرقون للدكتور مصطفى السباعي ص٢٢ وما بعده .

(٢) كما جاء في كتاب " التبشير والاستعمار للدكتورين عمر فروخ ومصطفى الخالدي ص١٧ وقد طبع مرتين في بيروت وحاول بعض أذناب الاستعمار في العهد الماضي منع تداوله في سوريا العربية المسلمة .

(٣) الاستشراق والمستشرقون للدكتور مصطفى السباعي ص٢٥ .

(٤) موقف الاستشراق من السنة والسيرة النبوية ص٦٦، ٦٧ ، ٦٨.



المطلب الرابع

منهج المستشرقين للبحث العلمي

يعتمد جمهرة المستشرقين في تحرير أبحاثهم عن الشريعة الإسلامية على ميزان غريب بالغ الغرابة في ميدان البحث العلميّ، فمن المعروف أنَّ العالم المخلص يتجرَّد عن كل

هوى وميل شخصي فيما يريد البحث عنه ويتابع النصوص والمراجع الموثوق بها، فما أدت إليه بعد المقارنة والتمحيص كان هو النتيجة المحتمة التي ينبغي عليه اعتقادها. ولكن أغلب هؤلاء المستشرقين يضعون في أذهانهم فكرة معينة يريدون تَصَيُّد الأدلة لإثباتها، وحين يبحثون عن هذه الأدلة لا تهمهم صِحَّتها بمقدار ما يهمهم إمكان الاستفادة منها لدعم آرائهم الشخصية، وكثيراً ما يستنبطون الأمر الكلي من حادثة جزئية، ومن هنا يقعون في مفارقات عجيبة لولا الهوى والغرض لربأوا بأنفسهم عنها[٢]، ولولم يكن من ثمرة جهودهم إلا ذلك المنهج لكفى، فإن جامعات العالم الإسلامي المعاصرة تدرس التراث الإسلامي وفق ذلك المنهج الذي يتمسح بالموضوعية، والحياد العلمي وهو أبعد ما يكون عنهما، ومع كون هذا المنهج لا دينيًا فهو في الوقت نفسه غير علمي لأنه غالبًا يدور على هذه الأسس:

١- يعمل المستشرقون على إخضاع النصوص للفكرة التي يفرضونها حسب أهوائهم والتحكم فيما يرفضونه من النصوص وكثيراً ما يحرفون النص تحريفًا ويقعون في سوء الفهم - وعن عمد أحيانًا - حين لا يجدون مجالاً للتحريف.

٢- يتحكم المستشرقون في المصادر التي يختارونها فهم ينقلون من كتب الأدب ما يحكمون به في تاريخ الحديث النبوي، ومن كتب التاريخ ما يحكمون به في تاريخ

---

(١) انظر المرجع السابق في نفس الموضع.



الفقـه، ويصـححون مـا ينقلـه الـدميري في كتـاب " الحيـوان "، ويُكـذبون مـا يرويـه الإمـام مالـك في الموطـأ، ويهـاجمون صـحيح البخـاري، ويمجـدون كتـاب الأغـاني وألـف ليلـة وليلة[٢].



وأيـًا مـا كانـت النتـائج فـإن مـا اضـطلع بـه هـؤلاء مـن مهمـة تـدمير المقومـات الإسـلامية مـن خـلال الطعـن في السـنة النبويـة ورواتهـا ليمهـدوا الأرض الفكريـة لقيـام الحيـاة اللادينيـة في بلاد الإسلام قد آتت أُكلها في أكثر من ميدان [٣].

(١) السنة ومكانتها لمصطفى السباعي ص١٢ : ٢١ ، منهج النقد عند المحدثين لمصطفى الأعظمي ص١٢٧ : ١٤٩.

(٢) دراسـات في السـيرة لمحمد نايف زين العابدين ص١٤٩ : ١٧٥ ، السـنة ومكانتها ص١٢ : ٢١ ، منهج النقد عند المحدثين لنور الدين عتر ص١٢٧ : ١٤٩ .



المبحث الثاني

بعض الشبهات المثارة حول المعجزات النبوية وتفنيدها

قبل البدء في إيراد بعض الشبهات لابد من بيان موقف المستشرقين من المعجزات النبوية.

المطلب الأول:

موقف المستشرقين من المعجزات النبوية

أجمعت غالبية الدراسات الاستشراقية على نفي صفة الخوارق والمعجزات عن الرسول ﷺ يقول المستشرق الإنجليزي "بوسورث سميث "[٢] (١٨١٥ - ١٨٩٢ م) في مقدمة كتابه: " الأدب في أسيا ": إن أعظم ما هو معجز في محمد نبي المسلمين أنه لم يدع القدرة على الإتيان بالمعجزات، وما قال شيئًا إلا فعله وشاهده منه في الحال أتباعه، ولم ينسب إليه الصحابة معجزات لم يأتها، أو أنكروا مبدأ صدورها منه، فأي برهان أقطع من ذلك "[٣]. ويقول "جوستاف جرونيباوم " [٤] (١٩٠٩ - ١٩٧٢م) مؤلف كتاب: " حضارة الإسلام ": " إن القلوب الساذجة العقل لتروح تنسج الخوارق وشيًا تحيط به حياة الرجل العظيم، غافلة عن أن

---

(١) مستشرق انجليزي متخصص في الدراسات العربية حصل على الدكتوراه من جامعة ادنبرة ومن شهادته:"لقد كان محمد قائداً سياسيًا وزعيمًا دينيًا في آن واحد، لكن لم تكن لديه عجرفة رجال الدين، ولم تكن لديه جيوش مجيشة ولا حرص خاص ، أو قصر مشيد أو عائد ثابت وغذا كان لأحد أن يقول أنه حكيم بالقدرة الإلهية فإنه محمد لأنه استطاع الإمساك بزمام السلطة دون أن يملك أدواتها .(من كتابه محمد والمحمدية ص٩٢) .

(٢) انظر الأدب في أسيا بورسورث سميث ص٣ .

(٣) مستشرق ومؤرخ نمساوي صاحب كتاب حضارة الإسلام والذي ترجمه عبدالعزيز توفيق وقامت بطباعته الهيئة العامة للكتاب .

هذه الخوارق تغض من شأن النصر الإنساني الذي يحرزه بطلها "(٢).

ويقول "جوستاف ": " حرص محمد مدة رسالته على أن يؤكد للناس أنه بشر، ذو طبيعة إنسانية وأنه بفضـل من الله اختير رسـولاً لله تعالى. وفيما عدا هذه الخصـوصـية - خصـوصـية اختياره للرسـالة - ليس ثمة شـيء يفرق بينه وبين إخوانه من البشـر، وإن علمه بالغيب لمحدود بما يريد الله أن يعلمه إياه. فكل مالم يرشـده إليه الوحي فأمر قد يضـل فيه السـبيل. وكلما لح أعدائه في تحديهم إياه بأن يثبت أقواله بإحدى المعجزات أبى ذلك. غير عابئ بسـخرية السـاخرين، وخيبة أمل المتشككين. "(٣).

ويخلص المفكر "ديزيريه بلانشـيه " (٤) مؤلف كتاب: دراسـات في التاريخ الديني " إلى الرأي القائل إن حياة الرسول ﷺ قد خلت من الخوارق والمدهشات وإن الإسلام دين الفطرة، لم يقبل بمبدأ الخوارق، وإن معجزة الرسـول الحقيقية قد اسـتندت إلى الواقع الحي، والأرض الصـلبة، وأنه لم يكن له إلا نبوءته ورؤاه للمسـتقبل، يقول: " إن تاريخ محمد تقريباً خال من الخوارق والمدهشات، وليس فيه تقريباً من المسلمات

إلا ما في الديانة الكاثوليكية من معتقدات طاهرة نقية. فهل توجد هذه الخوارق في الشـعائر والطقوس، إنك لو رجعت بالدين الإسـلامي إلى قواعده الأسـاسـية لما وجدته قد زاد على الدين الفطري إلا نبوءة محمد، وإدراكاً حقيقياً وفهماً صحيحاً لمعنى القضاء والقدر. " (٥)

---

(١) نقلاً عن مقدمة كتاب قالوا في الإسلام للشيخ خضر الظالمي ص٣.

(٢) انظر المرجع السابق الموضع نفسه .

(٣) ديزيريه بلانشيه: مستشرق فرنسي وهو الابن الثاني لجان جاك أبانويل ، أسلم وأعلن إسلامه ومن أقواله: " الدين الإسـلامي بحق هو الدين الذي لا يهاب العلم وحقائقه، بل ويدعوا كل عاقل أن يتفكر ويتأمل ويسـتجمع كل قواه الهنية ليميز الخبيث من الجيد " (موسوعة المستشرقين عبدالرحمن بدوي)

(٤) نقلاً عن كتاب هذا هو الإسلام ص٨٨ .



أما " توماس كارليل " [٢] فيرى: أن الرسول ﷺ في سيرته الحياتية لم يعتمد مطلقًا على المعجزات، وإنما يذكر من يدعوهم إلى الإسلام بالمعجزة الإلهية التي تكمن في سر الوجود المبثوث في الكون، إنها المعجزة التي تؤكد حقيقة الخالق وعظمته، يقول كارليل: " وكان محمد إذا سئل أن يأتي بمعجزة قال: حسبكم بالكون معجزة، انظروا إلى الأرض، أليست من عجائب صنع الله وآية على وجوده وعظمته؟ "[٣]

أما العلامة البريطاني المستشرق " هيليار بلارن " [٤] يرى في مؤلفه: " فكرة الحياة" معجزة رسالة الإسلام في الإنجازات التي حققتها حين وحدت بلاد العرب، وأكدت كونيتها بخروجها من النطاق العربي إلى الصعيد العالمي، فكانت حقيقة ثابتة وحضارة مشرقة يقول: " بينما كانت مدن الإمبراطورية البيزنطية، تحتفل بانتصارات الإمبراطور هرقل على الفرس، وبينما كان الناس في سرور وجدل عظيمين، حدثت المعجزة المحمدية، حدث ما لم يكن أحد ينتظره ولا يفطن له، حدث أمر كان أقرب إلى الهزة الأرضية، أو الفيضان العارم في سرعته وشدته، ووقوعه دونما سابق إنذار ولا إشارة"[٥].

---

(١) تواس كارليل: مستشرق اسكتلندي (١٧٩٥ –١٨٨١) أديب درس القانون في جامعة ادنبرة ثم شرع بدراسة الأدب الألماني من مؤلفاته كتاب الأبطال الذي ذكر فيه نبينا محمد ' (موسوعة الأعلام للزركلي) .

(٢) الأبطال ص٨١، ٨٢ .

(٣) هليار بلان توماس: هو واحد من أبرز المستشرقين المنصفين للإسلام ونبيه ' وهو مستشرق بريطاني شهير ولد سنة ١٨٦٤م ، وبدأ حياته العلمية في جامعة كمبردج ، ودفعه حبه للغات إلى دراسة وتعلم اللغة العربية وألف كتاب (الدعوة إلى الإسلام) وتوفى ١٩٣٠ (الموسوعة الحرة) .

(٤) انظر فكرة الحياة لهليار بلان ص٦٣ ، ٦٤ .

ويتحـدث المستشـرق الفرنسـي " الفـونس آتيـان دينيـه " [٢] (١٨١٦ - ١٩٢٩ م) عـن حيـاة الرسـول الحافلـة بالعظـام بأنـه - عليه السلام - لـم يعتمـد في نشـر الرسـالة الإسـلامية علـى الخـوارق والمعجـزات الماديـة وتلـك مـأثرة عظيمـة لـه، يقـول في كتابـه محمـد رسـول الله: " والحـق أنـا نـرى مـن بـين جميـع الأنبيـاء الـذين أسسـوا ديانـات، أن محمـداً هـو الوحيـد الـذي اسـتطاع أن يسـتغني عـن مـدد الخـوارق والمعجـزات الماديـة، معتمـداً فقـط علـى بداهـة رسـالته ووضـوحها، وعلـى بلاغـة القـرآن الإلهيـة، وإن في اسـتغناء محمـد ﷺ عـن مـدد الخوارق والمعجزات أكبر معجزة على الإطلاق "[٣]

أقـول: أمـا معجـزات النبـي ﷺ وعجائـب حياتـه فهـي كثيـرة جـداً وقـد تنـاقش أهـل العلـم في جمعهـا، فكـان اللاحـق مـنهم يسـتقرئ أمـوراً ويضـيفها علـى السـابق، وهـذا شـأن العلـوم، وإن كـان المستشـرقون وشـراحهم العـرب يجعلـون هـذه المزيـة إشـكالاً، ومـن ذلـك قـول ابـن تيميـة - رحمه الله -: " ومعجزاتـه تزيـد علـى ألـف معجـزة مثـل انشـقاق القمـر، والقـرآن المعجـز، وأخبـار أهـل الكتـاب قبلـه، وبشـارة الأنبيـاء بـه، ومثـل قصـة الفيـل التـي جعلهـا الله آية عام مولده، وغير ذلك كثير.

ولـذا أردت أن أورد بعـض هـذه المعجـزات والتـي اعتـرض عليهـا المستشـرقون ومـن ثـم أقوم بتفنيدها وأسوق ردود المحدثين عليها.

---

(١) ألفونس آتيان دينيه : مستشرق فرنسي رسام ، طرأ تحول كبير في حياة دينيه عام ١٩١٣م حينما أعلن إسلامه وغير أسمه من ألفونس آتيان دينات إلى نصر الدين دينات ليصبح الرسام الفرنسي المسلم ، حسن إسلامه وسافر إلى مكة المكرمة عام ١٩٢٩م لأداء فريضة الحج (موسوعة الأعلام للزركلي) .

(٢) ص٤٩ .



المطلب الثاني

الإنكار الكلي للسنة (١) (إنكار الوحي)

الإنكار الكلي للسنة: وهو التشكيك بصحة رسالة النبي ﷺومصدرها الإلهي.

الشبهات المثارة حول إنكار الوحي عرض ومناقشة:

إن موضوع الوحي من أخطر القضايا التي تناولها المستشرقون بالبحث والدراسة، فجمهورهم ينكر أن يكون الرسول ﷺ نبيًّا موحى إليه من عند الله – جلَّ شأْنُهُ – نظراً لعدم وجود القناعة العلمية لدى بعضهم، ولا الإيمان الراسخ بالنبوة ونزول الوحي.

والوحي أساس الإسلام، والإيمان به واجب، وعليه يقوم الإسلام كله، ولذلك انصب جهد المستشرقين على إنكاره، وحاولوا إلباس هذا الإنكار ثوب العلم كما هي عادتهم. وقد تفاوتت آراء المستشرقين حول مفهوم (الوحي) وتفسيراتهم له، كما تفاوتوا في تقويم الرسول والرسالة، حتى تباينت وجهات نظرهم تبايناً أوصلها حد التناقض، وسبب ذلك تأرجح مناهجهم بين الجحود والإنصاف، فمن انساق وراء التعصب انزلق في مهاوي الحقد، ومن تفهم روح الإسلام وانجلت له حقائقه، اتصف بالنزاهة، وخالط نور اليقين شفاف قلبه فأعلن إسلامه[٣] إلا أن الغالبية العظمى من المستشرقين أنكروا النبوة [٤].

فأورد أولاً شبهاتهم حول الوحي الإلهي، ثم تأتي الردود العلمية عليها مسلسلة:

ذهب المستشرقون مذاهب شتى في تفسير الوحي الإلهي، ولكنهم أجمعوا على إنكاره، وأتوا بتفسيرات وتعليلات وتأويلات حاولوا من خلالها تفسير التصرفات التي تنتاب الرسول إبان

---

(١) ليس المقصود الإنكار المطلق بل إنكار الحجية أي أنها ليست ملزمة للأمة .

(٢) أمثال هملتون جب ، ودنتس مور ، وتولوستوي ، وبندلي جوزي (الأدلة على صدق النبوة ص٤٥٥، ٤٥٦)

(٣) نبوة محمد في الفكر الاستشراقي لخضر شايب ص٢٥٩ .

نزول الوحي عليه، ووضــع تفســيراتهم على أســاس أنها فرضــيات بحاجة إلى بحث وهذه الفرضيات هي:

- أنها ظاهرة تشنج وصرع.

- أنها ظاهرة إلهام ومكاشــفة، أي أن محمداً كان يغرق في تأمل عميق في المشــكلة الدينية يقوده نوع من إلهام الدعوة المستقبلية.

- أنها ظاهرة نابعة من اللاشعور في داخل الذات وبعد النظر.

- تفسير الوحي بالتفسيرات المادية

مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية

وبعد النظر والتأمل في آراء المستشرقين يتضح اختلاف نظرتهم حوله، فالذين يتشبثون بالماديات لا يرون إمكان الوحي، وبعض من يؤمن بوجود الله يبحث له عن مصــادر اســتقى منها كل نبي معلوماته، ويرجعونها إلى تاريخ الأمم التي اتصل بها كل نبي.

ومنهم من يرى أنه إلهام يفيض من نفس الموحى إليه لا من الخارج، ومنهم من يرى أنه يأتيه من الخارج مع اختلافهم في ذلك الأمر الخارجي.

وبناء عليه يمكن تصنيف آرائهم حول (مفهوم الوحي) إلى أربعة أصناف كل صنف يشتمل على مجموعة متماثلة ومتشابهة من الآراء[٢]:

أولاً: وصف الوحي بالظواهر النفسية وتوابعها: يعني هذا الصنف من تفسير الوحي بـ- (الوحي النفســي) مع الاضــطراب في تحديده ويعنون به: أن القرآن فيض من خاطر محمدﷺ أو انطباع لإلهامه، أي أنه ناتج عن تأملاته الشــخصــية، وخواطره الفكرية وســبحاته الروحية [٣]. كيف

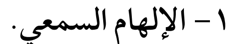
---

(١) تفسير ظاهرة الوحي عند المستشرقين مجلة الجامعة العراقية العدد ٣٨ / ١/ ٣١٨ .

(٢) الوحي القرآني لمحمود ماضي ص١٢٣ .

صوروا الوحي النفسي؟ ومن أين استنبطوا ذلك التصور؟ قالوا إنهم استنبطوه من تاريخ محمد وحالته النفسية والعقلية، وحالة قومه ووطنه [(٢)].

وما تصوروا أنه استفاده من أسفاره وخلواته وتحنثه وتفكيره، من كل ذلك نبع الوحي النفسي. وبيان ذلك أنهم يقولون إن عقل محمد الهيولاني (العقل الباطن) قد أدرك بنوره الذاتي بطلان ما كان عليه قومه من عبادة الأصنام وأن فطرته الزكية قد احتقرت ما كان يتنافسون فيه من جمع أموال بالربا والقمار، وأن فقره وفقر عمه قد حال دون انغماسه فيما كانوا يسرفون فيه من الاستمتاع بالشهوات[(٣)] فطال تفكيره في إنقاذهم من ذلك الشرك القبيح، وتطهيرهم من تلك الفواحش والمنكرات، فعكف على التأمل العميق فيما حوله من هذا الكون المحيط منقطعًا إلى عبادة الله في غار حراء حتى سما وجدانه واتسع محيط تفكيره، فاهتدى عقله الكبير إلى الآيات البينات في ملكوت السموات والأرض على وحدانية مبدع الوجود بما صار به أهلاً لهداية الناس وإخراجهم من الظلمات إلى النور، وما زال يفكر ويتأمل وينفعل، حتى أيقن أنه هو النبي المنتظر الذي يبعثه الله لهداية البشر، فجلى له هذا الاعتقاد في الرؤى المنامية، ثم قوى حتى صار يتمثل له الملك يلقنه الوحي في اليقظة [(٤)]. وقد اضطربوا في تحديد حالة النبي ﷺ النفسية التي صدر عنها القرآن، فاختلفوا في ذلك إلى أقوال متباينة يمكن إجمالها في الآتي [(٥)]:





١- الإلهام السمعي.

٢- حالة الصرع والهستيريا.

---

(١) تفسير ظاهرة الوحي عند المستشرقين مجلة الجامعة العراقية العدد ٣٨ / ١/ ٣١٨ .

(٢) الوحي المحمدي لمحمد رشيد رضا ص١٤٩، ١٥٠ .

(٣) انظر المرجع السابق .

(٤) آراء المستشرقين حول القرآن الكريم وتفسيره عمر رضوان ١/ ٣٨١ .

٣- الانفعالات العاطفية.

٤- حالة شعر أو جنون أو أضغاث أحلام.

٥- حالة الكهنة والمنجمين.

أقوال المستشرقين في تبني هذا الرأي وعرضه:

وممن ذهب إلى القول بالوحي النفسي من المستشرقين: " جوستاف لوبون " [٢](lebon) الذي يرى أن التصرفات التي تعتري الرسول ﷺ إبان نزول الوحي الإلهي عليه ما هي إلا إصابته بالصرع الذي ينتابه في هذه اللحظات، فيعتريه احتقان فغطيط، فغثيان، ويرى اعتبار محمد من فصيلة المتهوسين من الناحية العلمية كأكبر مؤسسي الديانات ويقول في هذا الصدد: ولا أهمية لذلك فلم يكن ذو المزاج البارد من المفكرين هم الذين ينشئون الديانات، ويقودون الناس، وإنما أولو الهوس هم الذين مثلوا هذا الدور، وهم الذين أقاموا الأديان، وهدموا الدول، وأثاروا الجموع، وقادوا البشر، ولو كان العقل لا الهوس هو الذي يسود العالم لكان للتاريخ مجرى آخر [٣].

- ومثل هذا القول يقول المستشرق الويس سبرنجر[٤] عن حياة محمد وتعاليمه: " إن محمداً

---

(١) جوستاف لوبون : (١٨٤١ - ١٩٣١) كان طبيب ومؤرخ فرنسي عمل في أوربا وأسيا وشمال أفريقيا ، عنى بالحضارة الشرقية من أشهر آثاره: حضارة العرب ، وحضارات الهند والحضارة المصرية ، وحضارة العرب في الأندلس حيث اعتقد بوجود فضل للحضارة الإسلامية على العالم الغربي .(الموسوعة العربية الميسرة) .

(٢) حضارة العرب جوستاف لوبون (ترجمة زعيتر) ص١٤١ .

(٣) الويس سبرنجر : (١٨١٣ - ١٨٩٣م) مستشرق نمساوي اشتغل في مدرسة دلهي ومطبعة كالكوتا في الهند عام ١٨٤٢م تجنس بالجنسية الإنجليزية ، واشتهر بكتابه (حياة محمد) . (موسوعة المستشرقين للدكتور عبدالرحمن بدوي ص٢٨)

كان مصاباً بالصرع والهسيتريا معـاً" [٢]

– ويقول جوستاف في كتابه عن محمد النبي: " إن ما كان ينتاب الرسول مما يشبه الحمى، وما كان يسمعه من صوت كصلصلة الجرس ليس وحياً، وإنما هو نوبات صرع واضطرابات عصبية"[٣].



– أما المستشرق الإنجليزي " مونتجمري وات [٤]" M. watt " فهو ينكر الوحي الإلهي وأن مصدر القرآن هو الخيال الخلاق الذي يتمتع به الرسول مثلما تمتع به بقية البشر الممتازين، كما يرجع إلى اللاوعي الجماعي طبقا لرأي " يونج" وقد حاول التوفيق بين هذين الرأيين إلا أنه يؤكد عدم تفسير الوحي بإصابة النبي بالهلوسة والصرع وغيرهما من الأمراض العصبية ويؤكد أنه كان صادقاً ومخلصاً في دعوته إلا أنه نفي الوحي الإلهي طبقاً للنظرية الإسلامية شأنه في ذلك شأن بقية أضرابه من المستشرقين [٥].

– أما جولد تسيهر[٦] فهو أيضاً ينكر الوحي الإلهي ويرى أن تبشير النبي العربي ليس مزيجاً

---

(١) رؤية إسلامية للاستشراق لأحمد غراب ص٣٨ .

(٢) مدخل إلى القرآن ريتشارد بل ومونتجمري وات ص١٧ .

(٣) مونتجمري واط (وات) وجدتها بكلا اللفظين وهو مستشرق بريطاني مسيحي عمل أستاذ للغة العربية والدراسات الإسلامية ، والتاريخ الإسلامي بجامعة ادنبرة في اسكتلندا ، واشتهر بالتعاطف الغير عادي مع الإسلام مع أن الحقيقة تعصبه ضد الإسلام (الموسوعة الحرة) .

(٤) انظر المرجع السابق ص٣٥٦ .

(٥) هو أجناس جولدتسيهر: (١٨٥٠ – ١٩٢١ م) يهودي ولد في المجر درس في أشهر مدارس الاستشراق في برلين ، ثم رحل إلى سوريا ١٨٧٣ م حيث تتلمذ على العلامة الشيخ طاهر الجزائري ، ثم نزح إلى فلسطين ومصر ثم درس اللغة العربية على شيوخ الأزهر، وقد شهد له علماء الغرب بطول الباع وبعد النظر . وهو أول مستشرق قام بمحاولة واسعة شاملة للتشكيك في الحديث النبوي ، وله مؤلفات عديدة في الفرق الإسلامية والفقه (موسوعة المستشرقين عبدالرحمن بدوي) .

منتخباً من معارف وآراء دينية، عرفها أو استقاها بسبب اتصال بالعناصر اليهودية والمسيحية وغيرها، وتأثر بهذه الأفكار تأثراً وصل إلى أعماق نفسه فصارت عقيدة أنطوى عليها قلبه، كما صار يعتبر هذه التعاليم واجباً إلهياً، فأصبح بإخلاص على يقين بأنه أداة لهذا الوحي(٢).



-- ويقول وط: " ولا يلزم من صدق الإنسان أن يكون مصيباً فيما يقول، بل يمكن أن يكون صادقاً ومع ذلك مخطئاً، إذن محمد ﷺ مخطئ في ظنه أن القرآن وحي يأتيه من الخارج بواسطة ملك، وإذن فالقرآن صدر من جهة من جهات نفسه وتلك الجهة اللاشعور الجماعي "(٣)

- **ثانياً: إنكار الوحي واتهام الرسول بأنه تلقى القرآن من عند غيره، مع اختلافهم في هذا الغير من يكون؟**

إن المستشرقين يرددون ما ردده أسلافهم من المشركين واليهود والنصارى من قبل نزول الوحي بالقرآن، وذلك في القول بأن القرآن من صنع محمد ﷺ وكذبه، وساعده على ذلك قوم آخرون، فتارة يقولون أنه الحداد الرومي، وأخرى أنه بحيرا النصراني، وأخرى أنه ورقة بن نوفل وقيل أخذه عمن أسلم من اليهود والنصارى، وغير ذلك.

ولقد حكى كتاب الله ذلك عن الأوائل بقوله تعالى: " وقال الذين كفروا إن هذا إلا أفك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون " (الفرقان ٤٠)

أقوال المستشرقين في تبني هذا الرأي:

---

(١) العقيدة والشريعة الإسلامية جولد تسيهر ص٦ .

(٢) الأدلة على صدق النبوة المحمدية ص٤٨٥ ، ومحمد في مكة ص٢٠٥، وتفسير ظاهرة الوحي عند المستشرقين ص٣٢٠ .



-- يقول الحداد(٢): والسر الكبير في ثقافة محمد الكتابية والإنجيلية وجود العالم المسيحي ورقة بن نوفل من بني أسد ابن عم السيدة خديجة في جواره خمسة عشر عامًا قبل مبعثه. ألا تكفي هذه المدة لنابغة العرب محمد بن عبد الله لكي يأخذ عنه شيئًا من علوم التوراة والإنجيل؟ ثم قال: بنص صحيح البخاري أن ورقة بن نوفل هو الذي ثبت محمد في دعوته وبعثته لما عاد خائفًا من غار حراء، وعلى أن الوحي القرآني فتر لما توفى ورقة، وحاول محمد الانتحار مراراً لفقده وفتوره، ونجد في معية النبي – ﷺ – حاشية مسيحية ويهودية قد أسلمت أو سايرت الإسلام، نجد بلالاً الحبشي مؤذن النبي، وصهيبًا الرومي المسيحي الثري، وسلمان الفارسي المسيحي الأصل، وعبد الله بن سلام اليهودي الوحيد الذي أسلم في المدينة مع كعب الأحبار، وهل كان حديث هذه الحاشية الكريمة سوى التوراة والإنجيل؟ إن ذلك حجة قاطعة على أن بيئة النبي – ﷺ – كانت كتابية من كل نواحيها(٣).

- **ثالثاً: إبطال الوحي ونفي الرسالة عن الرسول الخاتم بدعوى تكذيب الرسول، والادعاء بأنه افترى القرآن من عند نفسه.**

يقول أصحاب هذا الادعاء بأن محمداً بعبقريته الفذة، وفطرته السليمة، كان المصدر الوحيد للقرآن، جاء به من عند نفسه، بطريق الإلهام، أو من تأثير البيئة التي نشأ فيها، وليس وحيًا إلهيًا من عند الله؛ اعتماداً على القول بعبقريته وصفاء نفسه (٤)

---

(١) الحداد هو: يوسف درة الحداد، ولد في القدس وهاجر إلى الولايات المتحدة الأمريكية صاحب كتاب (القرآن دعوة نصرانية) أستاذ الأدب الإنجيلزي المقارن في جامعة كولومبيا، لا يمكننا اعتباره مستشرق بالمعنى الكامل لأنه عربي الجنسية مدافعًا عن العروبة والإسلام. أحدث كتابه (الاستشراق) ضجة كبيرة وترجم إلى ستة وعشرون لغة (موسوعة المستشرقين). (المستشرقون والإسلام يوسف حداد)

(٢) القرآن والكتاب يوسف الحداد ٢/ ١٠٢٩.

(٣) انظر الرسول في كتابات المستشرقين لنذير حمدان ص١١.

أقوال المستشرقين في تبني هذا الرأي:

- يصل " مكسيم رودنسون "(٢) إلى نتيجة مفادها أن الوحي الذي ينزل على الرسول - ﷺ - لا يمكن تفسيره بالأمراض النفسية التي قد تنتاب الإنسان، ولا بتدخل الشياطين، والأرواح الشريرة التي كان العرب يعزون إليها الكهانة وسجع الكهان، ولكن ما يراه ويسمعه الرسول هو نتيجة وصوله إلى إحدى درجات التصوف التي لم تصل إلى الاتحاد بالله ولكنها تقع بين مرحلة الزهد والتأمل والتعبد وبين مرحلة الاتحاد مع الله والاندماج

فيه (٣).

ـ رابعاً: تفسيرات الوحي بالتفسيرات المادية:

- ويذهب المستعرب الألماني " هوبرت جريم " (٤)H. Grimme " إلى أن محمداً لم يكن في بداية أمره يبشر بدين جديد، ولكنه اقتنع بضرورة إصلاح مجتمعه في مكة الذي يعاني من الفساد، فوضع خطة لمساعدة الفقراء عن طريق فرض ضريبة على دخول الأغنياء، ولكنه فهم من أن الحظ لا يواتيه بقبول هذا الحل من قبلهم كما أنه لم يتخيل خطة لصراع ا لطبقات على طريقة القرنين التاسع عشر والعشرين، ومن هنا فقد استخدم فكرة الحساب يوم القيامة كوسيلة للضغط على هؤلاء الأغنياء لقبول خطته الرامية إلى الإصلاح الاجتماعي في مجتمعه، ففرض عليهم

---

(١) مؤرخ ماركسي فرنسي، ولد سنة ١٩١٥م وتوفى ٢٠٠٤م ، عالم اجتماع ودراسات شرقية له مجموعة غنية من الأعمال منها: كتاب (محمد سيرة نبي الإسلام) انظر (ديوان العرب داود تلحمي).

(٢) الظاهرة الاستشراقية وأثرها على الدراسات الإسلامية ص٣٥٤ .

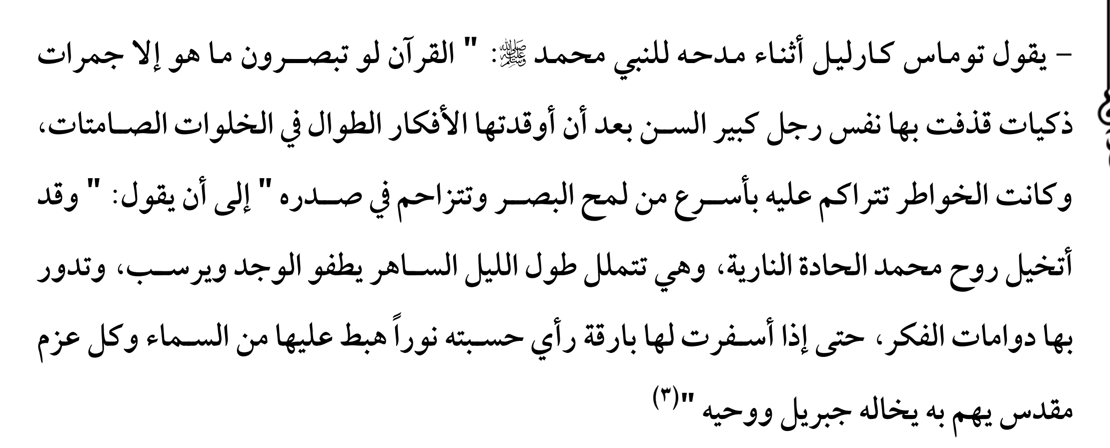
(٣) هوبرت جريم: مستشرق ألماني ألف كتاب " محمد " وقام بدراسات حول نبي الإسلام في القرن التاسع عشر .

(موسوعة المستشرقين عبدالرحمن بدوي ص٢٥٠) .

الزكاة لتطهير أموالهم وأنفسهم [٢].

فالماديون تصوروا أن الأنبياء (انبعثوا) ولم (يبعثوا) بتأثير وضغط الحاجة الفكرية والنفسية والاقتصادية التي عاناها أفراد مجتمعاتهم، ويرون أن دعوة الأنبياء جاءت نتيجة عاطفتهم الإنسانية أو ميلهم نحو الإصلاح.

أقوال المستشرقين في تبني هذا الرأي:



- يقول توماس كارليل أثناء مدحه للنبي محمد ﷺ: " القرآن لو تبصرون ما هو إلا جمرات ذكيات قذفت بها نفس رجل كبير السن بعد أن أوقدتها الأفكار الطوال في الخلوات الصامتات، وكانت الخواطر تتراكم عليه بأسرع من لمح البصر وتتزاحم في صدره " إلى أن يقول: " وقد أتخيل روح محمد الحادة النارية، وهي تتملل طول الليل الساهر يطفو الوجد ويرسب، وتدور بها دوامات الفكر، حتى إذا أسفرت لها بارقة رأي حسبته نوراً هبط عليها من السماء وكل عزم مقدس يهم به يخاله جبريل ووحيه "[٣]

- المناقشة والرد على هذه الشبهة:

وقبل الاستدلال على أن السنة النبوية وحي لا بد أن يسبقه أمور وهي: تعريف الوحي، وبيان أنواعه.

أولاً تعريف الوحي:

يطلق الوحي في اللغة: على الإشارة والإيماء، كما يطلق على الإلهام الذي يقع في النفس، وهي أخفى من الإيماء.

---

(١) نقلاً عن الظاهرة الاستشراقية وأثرها على الدراسات الإسلامية د/ ساسي سالم الحاج ص٣٥٤ .

(٢) الأبطال لكارليل ص٧٤، ٧٥ .

قال ابن منظور: هو إعلام في خفاء ولذلك صار الإلهام يسمى وحيًا(٢).

وقال الفيروزبادي: الوحي الإشارة، والكتابة، والمكتوب، والرسالة، والإلهام، والكلام الخفي، وكل ما ألقيته إلى غيرك، وأوحي إليه: بعثه وألهمه (٣).

وقد ورد الوحيُ بالمعنى اللغوي في عدد من الآيات القرآنية.

كقوله تعالى: {وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى} [سُورَةُ القَصَصِ : ٧]

وقوله تعالى: {وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ} [سُورَةُ النَّحْلِ : ٦٨]

وقوله جل شأنه: {شَيَاطِينَ الْأِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ} [سُورَةُ الأَنْعَامِ : ١١٢]

وقوله تعالى: {فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا} [سُورَةُ مَرْيَمَ : ١١]

وقوله تعالى: {وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي} [سُورَةُ المَائِدَةِ : ١١١]

وقوله ﷻ: {وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا} [سُورَةُ فُصِّلَتْ : ١٢]

وقوله تعالى: {إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا، وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا، وَقَالَ الْأِنْسَانُ مَا لَهَا، يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا، بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا} [سُورَةُ الزَّلْزَلَةِ : ١ – ٥]

وأما تعريفه في الشرع:

---

(١) لسان العرب لابن منظور مادة وح ي .

(٢) انظر: الزاهر (٢: ٣٥٣) والصحاح (٢٥١٩ وما بعد) ومعجم مقاييس اللغة (٦: ٩٣) والقاموس المحيط (٤: ٣٩٩) ولسان العرب (١٥: ٣٧٩وما بعد) .

فهو أن يعلم الله تعالى من اصـطفاه من عباده كل ما أراد اطلاعه عليه من ألوان الهداية والعلم، ولكن بطريقة سرية خفية غير معتادة للبشر (٢).

وسمي الوحي وحيًا: لأن الملك أسَّره عن الخلق، وخص به النبي ﷺ الذي بعثه إليه (٣).

وقد يُطلق ويرادُ به اسمُ المفعول منه، وهو المُوحى به؛ وهو كلامُ الله ﷻ المنزَّلُ على نبيه الكريم سيدنا محمدٍ ﷺ.

ثانياً ـ أنواع الوحي:

قال الله تعالى: {وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ} [الشورى: ٥١]

لقد حصرها الله تعالى في ثلاثِ حالات، وهي ترجع إلى حالتين:

الأولى: بغير واسطة، وتشمل الحالتين الأولى والثانية.

والثانية: بواسطة، وتشمل الحالة الثالثة.

والحالات الثلاث هي:

١ – قوله تعالى: {إِلَّا وَحْيًا} فيكون بغير واسطةٍ، وله حالتان:

– يكون في اليقظةِ؛ كالإلهامِ، والتكلمِ ليلةَ المعراج مع النبي المصطفى الكريم ﷺ بدون واسطة،...

– يكون في المنام؛ كما في قصة إبراهيم عليه السلام، وكما في قصة دخول النبي ﷺ مكة،... إلخ.

٢– قوله تعالى: {أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ} وذلك بأن يكلمَ الله تعالى نبيَّه من وراء حجاب، كما حصل لموسى عليه السلام.

---

(١) مناهل العرفان للزرقاني ١/ ٦٣ .

(٢) وحي الله حقائقه وخصائصه حسن عتر ص٥٠ .

٣ – قوله تعالى: {أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً} فيوحي ذلك الرسولُ الملَكُ إلى المرسَلِ إليه من البشر، بإذن الله تعالى ما يشاءُ الله تعالى، وله صور متعددة:

أ – أن يظهر بصـورته الحقيقية الملكية، كما حصـل لرسـول الله ﷺ، إذ رأى جبريلَ عليه السلام مرتين.(٢)، كما حكى القرآن الكريم في سورة النجم قال تعالى: ﴿ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾ ﴾ [سورة النجم: ١٢]

ب – أن يظهرَ جبريلُ عليه السلام بصـورةِ إنسـانٍ، ويراه الناسُ، وقد ظهر في صـورة دِحية الكلبي رضي الله عنه مراراً، كما ظهر في صـورة أعرابي، كما في حديث سـؤاله عن «الإيمان، والإسـلام، والإحسـان» وهو المعروف بحديث جبريل عليه السلام.

ج– أن ينفث في الرُّوع، وذلك بأن ينفث روحُ القدس في رُوع النبيِّ المصطفى الكريم ﷺ.

د– أن يهبط على النبي المصـطفى الكريم ﷺ خفية – وهذا هو الغالـب –، بحيث لا يراه الناسُ الحاضـرون، ولكن يظهر أثرُه من التغيير والانفعال الذي يصـيب النبيَّ المصـطفى الكريمَ ﷺ، والاسـتغراق التام،... وتصـببِ العرق في اليوم الشـديد البرد. وله مقدمةٌ تُنبِّه النبيَّ الكريمَ ﷺبقدومه، شبَّهها ﷺ بصلصلة الجرس، ويسمعها الصحابة الكرام رضي الله عنهم كدوي النحل.

والقرآن الكريم نزل كلُّه بواسطةِ جبريل عليه السلام، إلا ما ورد في أواخر سورة البقرة (٣).

نقد آراء المستشرقين:

الرد على الشبهة الأولى: وهي دعوى تفسير الوحي بالصرع والظواهر النفسية.

أولاً: رد المستشرقين على المستشرقين

الرد على من حاولوا تفسير الوحي بإصـابة الرسـول بالصـرع وأن أعراضـه كانت تبدو عليه، إذا أفاق من نوبته تلا على المؤمنين ما يقول أنه وحي الله إليه في حين لم يكن هذا الوحي إلا أثراً من

(١) الآيات البينات في الإسراء والمعراج من الخوارق والعادات د/ خليل ملا خاطر ص٨٧.

(٢) الإتقان في علوم القرآن١ للسيوطي: ٤٤ – ٤٥، ومناهل العرفان للزرقاني١: ٤٨ – ٥١ .

نوبات الصرع.



أن هذه الشبهة لا أساس لها من العلم، بل إنهم كانوا متحاملين أكثر من كونهم متعقلين، وأن هذه الآراء قد رد عليها الخصوم قبل الأتباع والكتاب الغربيين أنفسهم قد ردوا على هذه الشبهات، ونقضوها من أساسها، فقد ذكر " مونتجمري واط " و" رودنسون " بُطلان هذا الرأي وسخفه، وأن الحالة التي تعتري الرسول ﷺ في أثناء تلقيه الوحي تختلف عن المصابين به فعلاً، وآية ذلك أن الذي يصاب حقيقة بالصرع لا يذكر إطلاقًا ما مر به إبانها، بل إنه ينسى هذه الفترة من حياته بعد إفاقته من نوبته نسيانًا تامًا، ولا يذكر شيئًا مما صنع، أو حل به خلال ذلك (٢).

إن حركة الشعور والتفكير تتعطل فيه تمام التعطل. وهذه الأعراض التي تصيب المرضى من الصرع لا تنطبق وما يعتري الرسول من حالات نفسية في أثناء نزول الوحي عليه، لأنه كان يذكر بدقة بالغة ما يتلقاه وما يتلوه بعد ذلك على أصحابه، كما أن نزول الوحي لم يكن مقترنًا دومًا بالغيبوبة الجسمية مع تنبه الإدراك الروحي غاية التنبه، بل إنه كثيراً ما ينزل الوحي والنبي في تمام يقظته العادية (٣) كما سبق بيانه في أنواع الوحي.

ويقول المستشرق " إداورد مونتيه "(٤) صاحب الفكر المستقل متحديًا بني جنسه، نافيًا عن الرسول ﷺ الوحي النفسي، والانفعالات، والتنويم، وحالات الصرع، ومثبتًا الوحي الصحيح والرؤيا السليمة والإلهام الصادق: " كان محمد نبيًا صادقًا كما كان أنبياء بني إسرائيل في القديم، كان مثلهم يؤتى رؤيا ويوحى إليه، وكانت العقيدة الدينية وفكرة وجود الألوهية

---

(١) انظر الظاهرة الاستشراقية وأثرها على الدراسات الإسلامية ص٣٥٤ :٣٥٨ .

(٢) العقيدة والشريعة في الإسلام جولد تسيهر ص٢٦ .

(٣) ادور مونتيه: [١٨٥٦ – ١٩٢٧] كان أستاذاً للغات الشرقية وعميداً شرفيًا لجامعة جنيف ترجم "القرآن" .وكتب على الغلاف" محمد" بوصفه مؤلف القرآن ، وجاءت الترجمة مليئة بالأخطاء الخطيرة التي لا تليق بأستاذ للغات الشرقية . (موسوعة المستشرقين عبدالرحمن بدوي ص ١١٣) .

متمكنتين فيه كما كانتا متمكنتين في أولئك الأنبياء أسلافه " (٢)

أما المستشرق الفرنسي " ما سينيون " (٣)فقد نفى عنه حالة الصرع والهستيريا بقوله " إن محمداً كان على تمام الاعتدال في مزاجه " (٤).



ويقول " ماكس " (٥): " لقد أراد بعضهم أن يرى في محمد رجلاً مصاباً بمرض عصبي، ولكن تاريخ حياته من أوله إلى آخره ليس فيه شيئ يدل على هذا كما أن ما جاء به بعد من أمور التشريع والإدارة يناقض هذا القول " (٦).

ويقول " بلاتونوف ": " وغاية ما نقدر أن نجزم به هو تبرئة محمد من الكذب والمرض " (٧)

وفي نفي تهمة الانفعال العاطفي، والتنويم الذاتي، والهستيريا عنه، يقول المستشرق الفرنسي ماسينيون: " إن محمداً كان على تمام الاعتدال في مزاجه " (٨).

فهذه أقوال وردود بعض من وصف ببعض الإنصاف من المستشرقين. وبذلك يكون كما يقولون

---

(١) الوحي المحمدي محمد رشيد رضا ص٩٤.

(٢) ماسينون : هو لويس ماسينون (١٨٨٣ - ١٩٦٢) من أكبر المستشرقين الفرنسيين وأشهرهم وقد شغل عدة مناصب مهمة كمستشار وزارة المستعمرات الفرنسية في شئون شمال أفريقيا ، وكذلك الراعي الروحي للجمعيات التبشيرية الفرنسية في مصر . درس في الجامعة المصرية القديمة، واستهواه التصوف الإسلامي فدرس الحلاج دراسة مستفيضة وأصدر بالفرنسية حوليات العالم الإسلامي. (الأعلام خير الدين الزركلي) .

(٣) نقلاً عن آراء المستشرقين حول القرآن وتفسيره عمر رضوان ١/ ٤٠٣ .

(٤) هو: المستشرق الألماني ماكس خون أو بنهايم رحالة وعالم آثار ودبلوماسي ألماني ولد في كولونيا عام ١٨٦٠م وتوفى ١٩٤٦م وهو آخر أعظم مكتشفي الآثار الهواة في الشرق الأوسط (الموسوعة الحرة ص٢٢٩)

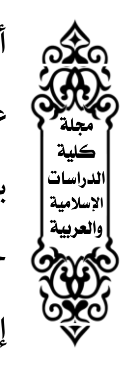
(٥) آراء المستشرقين حول القرآن وتفسيره ١/ ٤٠٣ .

(٦) انظر المرجع السابق ١/ ٤٠٣ .

(٧) آراء المستشرقين حول القرآن وتفسيره لعمر رضوان ١/ ٤٠٣ .

وشهد شاهد من أهلها، والحق ما شهدت به الأعداء.

ثانيًا: رد المحدثين على هذه الدعوى:



لما عجزت عقول المستشرقين ومختبراتهم العلمية أن توصلهم إلى كنه ظاهرة الوحي وحقائقه، أصبحوا يروجون – باسم البحث العلمي – لما يعرف بالوحي النفسي زاعمين أنهم جاءوا برأي علمي جديد، وما هو بجديد بل هو الرأي الجاهلي القديم لا يختلف عنه، صوروا فيه النبي ﷺ بأنه ذو خيال واسع وإحساس عميق فهو إذا شاعر، ثم قالوا: إن وجدانه يطغى كثيراً على حواسه حتى يخيل إليه أنه يرى ويسمع شخصًا يكلمه، وما ذاك الذي يراه ويسمعه إلا صورة أخيلته فهو إذاً الجنون أو أضغاث أحلام [٢]

ويرد ذلك النظر في سيرته فقد عاش طوال حياته في صحة نفسية، وعصبية، وعقلية، جيدة، لم يطرأ عليه أي خلل في عقله أو أعصابه، بل كان كمال عقله مضرب الأمثال.

يقول الأستاذ عبد الكريم الخطيب: " أمجنون مصروع يبني دولة، وينشئ نظامًا، ويقيم دينًا، ويعيش في أجيال الناس، منذ قام إلى اليوم دون أن يصاب بنكسة أو خلل " [٣]

وملخص القول في هذه النقطة: إن الصرع يعطل الإدراك الإنساني، وينزل بالإنسان إلى مرتبة آلية يفقد أثنائها الشعور الحسي، أما الوحي فهو سمو روحي اختص الله به أنبيائه ليلقي إليهم بحقائق الكون اليقينية العليا كي يبلغوها للناس، وقد يصل العلم إلى إدراك بعض هذه الحقائق ومعرفة سننها، وأسرارها بعد أجيال وقرون [٤].

ويجب استبعاد صفات الهوس والصرع والمرض النفسي التي اتهم بها المستشرقون النبي في

---

(١) تفسير ظاهرة الوحي عند المستشرقين لمحمد خالد عبد الواحد ص٣٢٩ .

(٢) الأدلة على صدق النبوة لهدى مرعي ص٥٠٨ .

(٣) النبأ العظيم لمحمد دراز ص٨٤ .

أثناء نزول الوحي عليه، خاصـة " جوسـتاف لوبون " ذلك أن التاريخ قد أنبأنا أن النبي لم يكن يتصف بهذه الصفات قبل البعثة بل إنه يصفه لنا بالعاقل والصادق الأمين. وإنه لم يكن قبل البعثة من أولئك الذين تعتريهم الوساوس والسلوك الشاذ، والتصرف الغريب، بل كان بعيداً عن سلوك الكهان وسجعهم وتمتعهم، وتصرفاتهم الغريبة. ولم يكن شاعراً يعتريه شيطان الشعر فيؤثر في قوله وتصـرفاته، وإن معاصـريه الذين أجهدوا أنفسـهم في بيان مسـاوئه لم يصـفوه بالمرض والوسوسة والصرع بالرغم من وصفهم له بالسحر والكهانة واستقائه معلوماته عن آخرين.

مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية

لقد وصـف النبي ﷺ ظاهرة الوحي المنزل عليه وصـفًا دقيقًا حينما شـبهه أحيانًا مثل صـلصـلة الجرس، وهو أشـد عليه فيفصـم عنه وقد وعى ما قال، وأحيانًا يتمثل له الملك رجلاً فيكلمه فيعي ما يقول، وفي كلتا الصـورتين كان النبي واعيـًا وعيـًا كاملاً بما يوحى إليه، وقد كرر ذلك مرات عديدة فأثبت لنفسه الوعي الكامل والإدراك السوي لحالته قبل الوحي وحالته بعد الوحي، وحالته في أثناء الوحي، وهذا التأكيد ينفي عن الرسـول شـبهة الهلوسـة، والمرض النفسـي، والصرع الذي ينتاب من يصابون به، وعن طريق وعي الرسول الكامل لما يوحى به لم يخلط مرة واحدة بين شخصيته الإنسانية المأمورة المتلقية وشخصية الوحي الآمرة المتعالية (٢).

الرد على الشبهة الثانية: الزعم أن محمداً كان له معلم من البشر.

١ – رد المستشرقين:

إن محمداً ﷺ ولد أميـًا ونشـأ أميـًا وعاش أميـًا، فلم يكن ممن رجع بنفسـه إلى كتب العلم ودواوينه، وذلك باعتراف المستشرقين أنفسهم، يقول "توماس كارليل": " يظهر لي أن الحقيقة

(١) موقف المستشرقون من الوحي ص١٠٩ ، ومباحث في علوم القرآن د. صبحي الصالح ص٢٨ .



هي أن محمداً ﷺ لم يكن يعرف الخط والقراءة " [٢] ويؤكد المستشرق "الكونت هنري "[٣] ذلك بقوله: " ما كان يقرأ ولا يكتب بل كان كما وصف نفسه مراراً

– نبيًا أميًا – [٤] ولقد بحث الكاتب الإنكليزي توماس كارليل قضية لقاء الرسول ﷺ ببحيرا الراهب، وما كان لهذا اللقاء من أثر على توجيه للتفكر في قضايا الحياة والخلق... وقد رد كارليل في كتابه الأبطال على تلك المزاعم التي تقول إن ذلك الراهب قد لقنه العلم وانه وراء النبوة التي أنزلت على النبي محمد ﷺ يقول:



«ولما شب محمد وترعرع، صار يصحب عمه في أسفار تجارية وما أشبه، وفي الثامنة عشر من عمره نراه فارسًا مقاتلاً يتبع عمه في الحروب، غير أن أهم أسفاره ربما كان ذاك الذي حدث قبل هذا التاريخ ببضع سنين، رحلة إلى مشارف الشام، إذ وجد الفتى نفسه هنالك في عالم جديد إزاء مسألة أجنبية عظيمة الأهمية جداً في نظره، أعنى الديانة المسيحية. واني لست أدري ماذا أقول عن ذلك الراهب سرجياس (بحيرا) الذي يزعم أن أبا طالب ومحمداً سكنا معه في الدار، ولا ماذا عساه أن يتعلمه غلام في هذه السن الصغيرة من أي راهب ما، فإن محمداً لم يكن يتجاوز إذ ذاك الرابعة عشر، ولم يكن يعرف إلا لغته، ولا شك أن كثيراً من أحوال الشام ومشاهدها لم يكن في نظره إلا خليطًا مشوشًا من أشياء ينكرها ولا يفهمها. ولكن الغلام كان له عينان ثاقبتان، ولا بد من أن يكون قد انطبع على لوح فؤاده أمور وشؤون فأقامت في ثنايا ضميره، ولو غير مفهومة ريثما ينضجها له كر الغداة ومر العشي، وتحلها له يد الزمان يومًا ما، فتخرج منها أراء وعقائد

---

(١) في كتابه الأبطال ص٦٨ .

(٢) هو: هنري كاستري من أكثر المستشرقين الأجانب إنصافًا للإسلام من مؤلفاته كتاب [الإسلام خواطر وسوانح] ذكر فيه أن غاية ما يرمي إليه الإسلام هو اطلاع مواطنيه على صورة صحيحة .(موسوعة المستشرقين عبدالرحمن بدوي ص ٢٤٦) .

(٣) انظر الرسول في الدراسات الاستشراقية لمحمد شريف الشيباني ص٤٠٤ .

ونظرات نافذات، فلعل هذه الرحلة الشامية كانت لمحمد أوائل خير كثير وفوائد جمة)(٢).

ويقول المستشرق الإنجليزي "لايتنر"(٣): " بقدر ما أعرف من دين اليهود والنصارى أقول بأن ما علمه محمد عليه السلام ليس اقتباسـاً، بل قد أوحي إليه من ربه " (٤).



ويقول هنري كاستري: " ثبت إذن أن محمداً لم يقرأ كتاباً مقدسـاً، ولم يسترشد في دينه بمذهب متقدم عليه " (٥)

وهكذا نجد أكثر المبشرين والمستشرقين يذكرون أن الرسول اتصل ببعض النصارى واليهود وأخذ عنهم عدداً من المعلومات الدينية والتاريخية. ثم هم يذكرون أن هذه المعلومات كانت خاطئة أو ناقصة.

٢- رد المحدثين على قول المستشرقين أن النبي ﷺ كان له معلم من البشر:

رد المحدثون على من زعم من المستشرقين وغيرهم أن الرسول ﷺ تلقى القران من عند غيره، مع اختلافهم في هذا الغير فتارة يقولون ورقة بن نوفل، وأخرى يقولون أنه بحيرا الراهب، وثالثة يقولون: أخذه عمن أسلم من اليهود والنصارى وغير ذلك، فإنه لم يثبت تاريخياً اتصال الرسول ﷺ بورقة إلا بعد مجيء الوحي إليه، وعدم وجود أي صلة سابقة بين محمد عليه السلام وورقة، حتى

---

(١) توماس كارليل : الأبطال ص : ٦٨.

(٢) هو: وليم لايتنر مستشرق بريطاني (١٨٤٠ – ١٨٩٩م) من أسرة يهودية برع في تعلم اللغات من طفولته فتعلم قرابة خمسين لغة، وكان يتحدث بطلاقة في تسعة عشرة منها كتب كتاب (تاريخ الإسلام) وهو كتاب علمي شامل وأشرف على بناء مسجد للمسلمين فبنى مسجد شاه جهان ويعتبر من أوائل المساجد التي بنيت في أوربا ، وأول مسجد بني في بريطانيا (انظر موقع المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية).

(٣) انظر الوحي القرآني من المنظور الاستشراقي ونقده لمحمود ماضي ص١٤٩ .

(٤) انظر المرجع السابق .



أن فكرة الاتصال به لم تطرأ على باله سعيًا لإزالة الإشكال عن نفسه، بل كانت فكرة السيدة خديجة – رضي الله عنها – فلو كانت هناك فكرة سابقة لتبادر إلي ذهن الرسول السؤال عما حدث له(٢)، ثم إن موقف ورقة من ذلك اللقاء كان موقف المستفسر لما حصل مع الرسول ﷺ في غار حراء، فلما سمع ما وقع للنبي ﷺ آمن به وشهد على صدقه، ووعده أنه سينصره نصراً مؤزراً، بعد أن أخبره أن قومه سيؤذونه ويخرجونه، ثم لم يلبث ورقة أن توفى وفتر الوحي (٣) فمن أين لمحمدﷺ بعده تلك العلوم المتتابعة أكثر من عشرين سنة (٤)؟.

ولو علم أهل مكة وجود اتصال ما بين النبي ﷺ وورقة لكشفوه على الملأ، واتهموه في صدقه، ولكن ذلك لم يحدث، مما يدل على عدم وجود أي رابطة علمية بينهما

أما قولهم: إن محمداً ﷺ اتصل ب- (بحيرا الراهب) فأملى عليه معلومات، ثم لما رجع إلى مكة تبناها وزعم أنها من عند الله فيرد على ذلك بأن لقاءه ذلك كان محدوداً وبحضور زعماء قريش، وكان عمر النبي ﷺ اثني عشر عامًا، فطبيعة اللقاء تنفي أن يكون قد حصل تعلم لمحمد عليه السلام من بحيرا؛ لأنه لقاء قصير عابر لا يكفي للدرس والتحصيل، وسن النبي إذ ذاك صغيرة لا تؤهله

---

(١) وحي الله وحقائقه حسن عتر ص٩١ .

(٢) كما جاء في صحيح البخاري من طريق عروة بن الزبير عن أم المؤمنين عائشة ~ وفيه " فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى ـ ابن عم خديجة ـ وكان امرءاً تنصر في الجاهلية ، وكان يكتب الكتاب العبراني ، فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب ، وكان شيخًا كبيراً قد عمي ، فقالت له خديجة: يا ابن عم اسمع من ابن أخيك . فقال له ورقة: يا ابن أخي ماذا ترى؟ فأخبره رسول الله ﷺ خبر ما رأى . فقال له ورقة: هذا الناموس الذي نزَّل الله على موسى ، يا ليتني فيها جذعًا ، ليتني أكون حيًا إذ يخرجك قَومك . فقال رسول الله ﷺ : أو مخرجيَّ همْ ؟ قال: نعم ، لم يأت رجل قطَّ بمثل بمثل ما جئت به إلا عُودي ، وإن يدركْني يَوْمُكَ أنصُرْك نصراً مُوزَّراً . ثم لم ينشب ورقة أن توفى ، وفتر الوحي

صحيح البخاري ، كتاب: بدء الوحي ، باب: كيف كان بدء الوحي ١/ ٢٦ ح٣ .

(٣) وحي الله وحقائقه حسن عتر ص٩١ .

للتلقي، ولا توجد رواية تذكر ذلك التعليم، ثم إن اللقاء حضـره عدد من رجال القافلة، فلم يذكروا شـيئًا من ذلك، وقد كانوا أحرص الناس على إحباطها بعد إعلانها. وتؤكد الروايات أن بحيراً الراهب رأى علامات النبوة على ذلك الفتى، وأخبر عمه أبا طالب بأنه سـيكون له شـأن عظيم، وأوصاه بالمحافظة عليه.



- فقد أخرج الترمذي في سـننه عن أبي موسـى الأشـعري عبد الله بن قيس قال: " خرج أبو طالب إلى الشام ومعه النبي ﷺ في أشياخ من قريش، فلما أشرفوا على الراهب يعني بحيرا هبطوا فحلوا رِحالهم فخرج إليهم الراهب، وكانوا من قبل ذلك يمرون به فلا يخُرجُ إليهم ولا يلتفتُ، قال: فنزلَ وهم يحلونَ رحالُهم فجعل يتخللهُم حتى جاءَ وأخذ بيد رسـول الله ﷺ وقال: هذا سـيدُ العالمين، زاد البيهقي: - ورسول رب العالمين - فقال له أشياخ قريش: وما علمك؟ فقال: إنكم حين أشرفتُم من الثنية لم يبق شـجرُ ولا حجرُ إلا خرّ سـاجداً، وإني أعرفه بخاتم النبوة أسـفلَ من غضـروف كتفه، ثم رجع فصـنع لهم طعامًا فلما أتاهم به وكان هو في رعية الإبل فقال: أرسـلوا إليه، فأقبل وغمامةُ تُظلُّهُ فلما دنا من القوم وجدهم قد سـبقوهُ إلى الشـجرة، فلما جلسَ ﷺ مال فَيء الشجرة عليه، فقال: انظروا إلى فَيء الشجرةِ مال عليه [٢].

- وأخرج ابن إسـحاق في السـير والمغازي [٣] التقاؤه بالراهب بحيرا الذي تفرس فيه ورأى معالم النبوة في وجهه وبين كَتِفَيهِ، فلما سأل أبا طالب: ما هذا الغلام منك؟ قال: هو ابني، قال: ما ينبغي أن يكون أبوه حيًا؛ قال: فإنه ابن أخي مات أبوه وأمه حبلى به. قال: صـدقت، ارجع به إلى بلدك

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب: المناقب، باب: ما جاء في بدء نبوته ح ٣٦٤٠، قال الترمذي: هذا حديث حسـن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه، والبزار في مسـنده ح ٣٠٩٦، والطبراني في الكبير ١١/ ٨٠.باختلاف يسير، وأورده البغوي في المشكاة ح ٥٩١٨١.

(٢) ص٧٣.



واحذرْ عليه يهود[٢]

فمن أين للمستشرقين القول بالأخذ عنه من التاريخ؟ وهل يعقل أن بحيراً كلم هذا الطفل بهذا الدين المتكامل الذي تعجز البشرية جمعاء أن تأتي بمثله؟ ولماذا اختياره من بين جهابذة الرجال أمثال أبي طالب وغيره؟ ثم لماذا لم يقم هو بنفسه بالتعليم والإصلاح والتوجيه؟ والأهم من ذلك كله لم تأخر النبي محمد ﷺ في نشر ذلك الخبر بعد تلقيه وسماعه من بحيرا أكثر من ثمان وعشرين سنة[٣]



إذا أضفنا إلى ذلك أن القرآن لم ينزل دفعة واحدة، إنما اكتمل بعد ثلاث وعشرين سنة معالجًا لأحداث حياتية، وحالات إنسانية، مجيبًا عن تساؤلات، ومعلقًا على مواقف نبوية أو صحابية أو كتابية أو شركية لم تحصل إلا بعد سنين من وفاتهما تبين جليًا كذب هذا الافتراء.

يضاف إلى هذا أن اليهود كانوا يقطنون المناطق الخصبة - يثرب وخيبر واليمن - فاتصاله بهم كان نادرا أو منعدمًا، ثم ما عسى أن يفيده اليهود الذين اشتهروا بكتم العلم ليغروا به الناس، ولاعتقادهم أنهم شعب الله المختار، ومع هذا فكانوا يترقبون خروج الرسول الخاتم بينهم، وقد كان اليهود يتحدون الرسول بعدة أسئلة ويطلبون منه الإجابة عنها - لأنها لا يعلمها إلا نبي - ولو كانوا يعلمون أنهم قاموا بتعليمه لما تحدوه بذلك [٤]

أما الذين لقوه بعد النبوة فقد سمع منهم وسمعوا منه، لكنهم كانوا له سائلين وعنه آخذين، وكان هو لهم معلمًا وواعظًا ومبشراً [٥]، وأما الذين آمنوا به من أهل الكتاب كعبدالله بن سلام وغيره

---

(١) وأخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى ١/ ١٢١ ، والبيهقي في دلائل النبوة ٢ / ٢٦ .

(٢) تفسير ظاهرة الوحي عند المستشرقين ص٣٢٧ .

(٣) الدراسات الاستشراقية في ضوء العقيدة زيد العبلان ص١٨٥ بتصرف .

(٤) النبأ العظيم للشيخ محمد دراز ص٦٩ .

فلا يعقل أن يعلموه وهم الذين أسلموا على يديه، وسلموا بنبوته، إذ كيف يسلم أولئك الأحبار دون أن يروا صدقه ويتحققوا من نبوته وهم علماء بالكتاب؟؛

فهل بعد هذا يعقل أن يقال إن محمداً ﷺ جمع وحيه من البيئة العربية كلا وألف كلا.

وكما قال توماس كارليل: " إذن فلنضرب صفحًا عن مذهب الجائرين القائل إن محمداً كاذب ونعد مواقفهم عاراً وسبة وسخافة وحمقاً فلنربأ بنفوسنا عنه ولنترفع)) [٢].

الرد على الشبهة الثالثة: من زعم إبطال الوحي ونفي الرسالة عن الرسول الخاتم بدعوى تكذيب الرسول، والادعاء بأنه افترى القرآن من عند نفسه.

١ـ رد المنصفين من المستشرقين:

تصدت المستشرقة الإيطالية "لورا " [٣] للأقلام المغرضة ودافعت عن الرسول ﷺ بتفنيد الأكاذيب التي كانت تشاع عنه في القرون الوسطى [٤]. ووقف المستشرق السويسري "حنا"[٥]مواقف نبيلة في دفاعه عن الرسول ﷺ بعد دراسته الوثائق التاريخية، وأكد المستشرق

---

(١) توماس كارليل : الأبطال ، ص ٦٩، ٧٠.

(٢) هي: لورا فيشيا فاليري مستشرقة إيطالية عشقت اللغة العربية، ودافعت عن الإسلام . من مؤلفاتها (الإسلام) و(دفاع عن الإسلام) واهتمت بدراسة التاريخ الإسلامي قديمًا وحديثًا ، وذكرت في كتابها (محاسن الإسلام) أية قوة عجيبة تكمن في هذا الدين ؟ أية قوة داخلية من قوى الاقناع تنصهر به ؟ . عشق فاليري للإسلام تجلى أيضًا في أشهر كتبها (دفاع عن الإسلام) الذي دافعت من خلاله عن القرآن الكريم باعتباره معجزة بكل المقاييس (انظر الموسوعة الحرة) .

(٣) انظر الرسول في الدراسات الاستشراقية المنصفة للشيباني ص٣٨٨ .

(٤) حنا: هو مستشرق سويسري متخصص في النقوش الإسلامية ، أسس فن معرفة الكتابة العربية القديمة ، وكتب مباحثه باللغة الفرنسية (انظر موقع الموسوعة الحرة)

"جون وانتبورت " [٢]أن الدراسات التاريخية تسقط كل الأكاذيب التي أشاعها أعداء الإسلام بقوله: " بقدر ما نرى صفة محمد الحقيقية بعين البصيرة والتروي في المصادر التاريخية الصحيحة فقد جاء بشرع لا يسعنا أن نتهمه فيه " [٣].

ويقول المستشرق "كارل هينرش بيكر"[٤]: " لقد أخطأ من قال إن نبي العرب دجال أو ساحر؛ لأنه لم يفهم مبدأه السامي، إن محمداً ﷺ جدير بالتقدير، ومبدأه حري بالاتباع، ليس لنا أن نحكم قبل أن نعلم، وإن محمداً خير رجل جاء إلى العالم بدين الهدى والكمال "[٥].



---

(١) جون وانتيبورت : مستشرق سويسري صاحب كتاب (محمد والقرآن) والذي أكد فيه أن الدراسات التاريخية تُسقط كل الأكاذيب التي أشاعها أعداء الإسلام من جهة وتؤكد من جهة أخرى عظمة الرسول محمد ومكانته التاريخية، من عظمة الرسالة التي حملها للبشرية بقوله [بقدر ما نرى صفة محمد ـــ ' ـــ الحقيقية بعين البصيرة والتروي في المصادر التاريخية الصحيحة، بقدر ما نرى من ضعف البرهان وسقوط الأدلة لتأييد أقوال الهجو الشديد والطعن القبيح الذي اندمن على رأسه، وانهار عليه من أفواه المغرضين والذين جهلوا حقيقة محمد ومكانته ذلك الرجل العظيم عند كل من درس صفاته العظيمة، كيف لا وقد جاء بشرع لا يسعنا أن نتهمه فيه] (المرصد الإسلامي لمقاومة التنصر).

(٢) انظر الرسول في الدراسات الاستشراقية المنصفة للشيباني ص٣٨٩.

(٣) كارل هينرش بيكر : مستشرق ألماني وسياسي (١٨٧٦ ـ ١٩٣٣م) عرفته السياسة بمعناها الرفيع واحداً من رجالها الأفذاذ النابهين، وعرفه العلم مستشرقًا وفيلسوف حضارة كان في الطليعة من بين فلاسفة الحضارة ، ونزعة البحث في تاريخ الأديان هي التي دفعته إلى ناحية الاستشراق من أجل دراسة الإسلام ، فبدأ يعنى بهذه الناحية ، سافر إلى القاهرة وأجاد اللغة العربية على يد أستاذ مصري ، وتوطدت الصلات بينه وبين بعض الشخصيات المصرية الشهيرة في ذلك الحين وعلى رأس هذه الشخصيات الأستاذ الإمام محمد عبده ، ومن ذلك الحين وحبه لمصر لا يعدله غير حبه لبلاده (انظر موقع المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية ، وموسوعة المستشرقين للدكتور عبدالرحمن بدوي ص٢٤٧ .

(٤) انظر الرسول في الدراسات الاستشراقية المنصفة للشيباني ص ٣٨٩ وما بعده .




٢- رد المحدثين على هذه الشبهة:

إننا لا ندري كيف وصـل " رودنسـون " إلى تللك النتيجة العلمية التي حاول من خلالها البرهنة على أن النبي ﷺ كان صوفيًا. فالصوفية لون من ألوان السلوك يجتنب فيه الذين يسلكونه الترف ويختار البسـاطة في لباسـهم ومعاشـهم، كما يعني هذا الإصـلاح والاجتناب الاختياري للملاذ العابرة، والابتعاد عن الحياة الاجتماعية، خصـوصـًا الزواج وكبح جماح النفس، وتطهيرها، والبساطة التي ترفض كل ترف وأبهة، هكذا نرى أن هذه التصرفات منافية للتعاليم الإسلامية التي ترفض العزوبية وترفض اجتناب الملذات العادية المباحة وترفض الزهد والتصـوف على طريقة الرهبان والقساوسة، ومن ثم فإن وصف الرسول بالمتصوف، وأنه قد بدأ في تسلق مراتبه حتى وصل إلى درجة التأمل ولم يصل إلى درجة الاتحاد بالله وهو قول لا يسنده دليل علمي أو واقعي، ولأن هذه المراتب جميعها رتبت وصـنفت بعد أن أخذت الصـوفية مكانتها في المجتمع الإسلامي(٢).

إن الناظر في مزاعم المسـتشـرقين وفي حال الرسـول ﷺ وفي كتاب الله الذي أوحي إليه يتبين له بطلان هذه المزاعم من عدة وجوه:

١ - القرآن نفسه ينفي أن يكون من صنع البشر وتأليفهم، وإنما هو كلام الله المنزل على رسوله ﷺ لهداية الناس وإصلاحهم.

٢ - لو كان الرسول ﷺ هو مؤلف القرآن بما فيه من مبادئ وأفكار لماذا كان ذلك بعد أربعين سنة من عمره، أكان يسكت طوال الأربعين سنة الأولى ثم ينشط فجأة بعد الأربعين؟

٣ - واجه النبي ﷺ كثيراً من المواقف الشـديدة التي كان يحتاج فيها إلى القرآن لحسـمها، مثل ما

---

(١) انظر الظاهرة الاستشراقية وأثرها على الدراسات الإسلامية للدكتور ساسي سالم الحاج ص٣٦٥، ٣٦٦ ، وموقف المستشرقين من الوحي محمد رشيد زاهد ص١١١ .

حل به عندما رماه المنافقون في أهل بيته، فلم يستطع أن يفعل شيئا مدة شهراً حتى جاءه الوحي ببراءتها وقطع ألسنة الخائضين بالإفك، فلو كان القرآن من عنده لقطع بالبراءة من أول وهلة (٢).

٤ – لو كان القرآن من عند محمد ﷺ ومن ابتكاره لجعله يوافق هواه، ولو كان من إنشائه فلماذا لم يضمنه حديثه؟ ولماذا لم يسرد فيه قصة حياته؟ وكيف يكون القرآن من عنده وهو يخالف رأيه في بعض المواقف، بل يعاتبه ويلومه على أفعاله وبعض تصرفاته؟



يضاف إلى ذلك هبوط الوحي لأول مرة على الرسول ﷺ وأثره في شخصيته، وكيفية التوفيق بين انقطاع الوحي ثلاث سنين، وشوق النبي ﷺ إليه وسر بقاء القرآن محفوظًا منذ جاء به محمد ﷺ لم يثبت في تاريخ البشرية أن ظل كتاب كما هو، دون زيادة ولا نقصان، أو تحريف أو تبديل، فإذا قدر محمد ﷺ على الحفاظ عليه طوال حياته، فما الذي حال دون ضياع جزء منه بعد وفاته، كما حرفت وبدلت كتب أهل الكتاب، وما سبقها من كتب الله المنزلة.

إن القرآن أجاب عن سر بقائه وخلوده، قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [الحجر: ٩]

إن رد القرآن على الشبهات القديمة التي أثارها العرب في نفي الوحي وإنكار النبوة هو الرد نفسه على آراء المستشرقين، باعتبار أن هذه الآراء ما هي إلا صدى لتلك الشبهات؛ فقد قالوا: القرآن سحر ومحمد ساحر، فحكى الله ذلك عنهم بقوله: ﴿ وَقَالُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿١٥﴾ ﴾ [الصافات: ١٥]

وبقوله تعالى: ﴿ وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ ۖ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَٰذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٤﴾ ﴾ [ص: ٤].

وقالوا: القرآن شعر ومحمد شاعر، قال تعالى: ﴿ بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ

---

(١) الأدلة على صدق النبوة المحمدية ورد الشبهات عنها لهدى مرعي ص٤٩٥ .

فَلۡيَأۡتِنَا بِـَٔايَةٖ كَمَآ أُرۡسِلَ ٱلۡأَوَّلُونَ ﴿٥﴾ ﴾ (الأنبيــاء: ٥) وقولـه: ﴿ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٖ مَّجۡنُونِۭ ﴿٣٦﴾ ﴾ (الصافات: ٣٦)

وقد أكد الله ســبحانه أمام افتراءات المكذبين أن القرآن وحي من كلام الله في كثير من آياته، منها قــولـه تـعــالـى: ﴿ قُلۡ أَنزَلَهُ ٱلَّذِي يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿٦﴾ ﴾ (الفرقان:٦)



كل ذلك وغيره يؤكد أن الوحي أمر غيبي أتى من جهة غير إنســانية، خارجة عن مجال إرادة الرسول ﷺ وعلمه واجتهاده.

الرد على الشبهة الرابعة: من فسر الوحي بالتفسيرات المادية

تصــور الماديون أن الأنبياء (انبعثوا) ولم (يبعثوا) بتأثير وضــغط الحاجة الفكرية والنفســية والاقتصـادية، كما فسـروا النبوة بالاسـتجابات الخلاقة في النفوس الإنسـانية، ولا شـك أن هناك فروقـًا واضحة بين الأنبياء والمصلحين: فالنبي: إنسان حر من بني آدم أوحى إليه بملك، أو ألهم في قلبه، أو نبه بالرؤيا من الله بشــرع وأمره بتبليغه [٢]، فهم جاءوا بأفكار جديدة تخالف ما كان عليه ثقافة أقوامهم، وأتوا بقيم أخلاقية واجتماعية غير متأثرة بما كانت عليه أممهم، مما يدل على ربانية ما جاءوا به من علم أو كتاب. ولقد ظهر لكل منصــف أن ما دعا إليه الرســول ﷺ من الشــعائر العبادية والقيم الأخلاقية، وقواعد الســلوك لم يكن نابعـًا من بيئته، بل كان غريبـًا عن ثقافتهم مباينـًا لأعرافهم، كما قرره جعفر بن أبي طالب، أمام ملك الحبشــة، مظهراً المفارقة بين مظاهر الواقع، ومعطيات الوحي، قال: " كنا قومـًا أهل جاهلية، نعبد الأصــنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونســيء الجوار حتى بعث الله إلينا رســولاً منا نعرف نســبه

(١) التعريفات للجرجاني ١/ ٢٣٩ .



وصــدقه، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده " [٢] فوصــف لنا الحالة التي كانوا يعيشــونها، ثم بين صــفات النبي الموحى إليه، ثم بين ما أمرهم به مما يخالف ما كانوا عليه، وما نهاهم عنه من الأوزار، ثم عدد أمور الإسلام الأخرى. فدل هذا على أن الوحي يأتي إلى الرسول ﷺ من قبل الله؛ لإعادة الناس إلى فطرتهم الأصــلية التي انصــرفوا عنها بفعل عوامل كثيرة اقترفوها مع عامل الزمن.

كما يرى الماديون أن الوحي يختلف عن هذه الأمو التي وصفوه بها، فقد زعم "برجسون"[٣] أن الحد ث: هو الوســيلة الوحيدة لإدراك الحقيقة، وادعوا أنه أرقى أنواع المعرفة، وهذا الزعم تكذبه الآيات القرآنية التي ذكرت أن النبي ﷺ يوحى إليه، وكثير من الأحاديث بينت اتصــال الرســول ﷺ بالوحي كما قال عن نفســه: " وإنما الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إليَّ "[٤] وإذا كان الإشــراق يتم فيه تحويل الأفكار بين إنســان وآخر، بمعنى أن الدراســـات أكدت أن الإشــراق يتم بين شخصين، في حين أن الوحي يقع بين ملك وإنسان اختاره الله لتبليغ رسالته، فالوحي يختلف عن الإشــراق، كما يختلف عن الحدس وهو لا يناقض الوعي ما ادعاه الماديون، الذين اســتخدموا خيالهم في إنكار الوحي، ونفي النبوة عن الأنبياء عموماً وعن النبي الخاتم خصوصاً. [٥]

خلاصة البحث في هذه الشبهة:

وبعد استعراض هذه الآراء ومناقشتها يتبين اتفاق غالب المستشرقين على هدف واحد، هو الوصول إلى ما يؤيد

---

(١) أخرجه ابن خزيمة في صحيحه ، باب: أن فرض الزكاة كان قبل الهجرة ٤/ ١٣، ١٤ .

(٢) برجسون : هو هنري برجسون (١٨٥٩ – ١٩٤١ م) فيلسوف فرنسي حصل على جائزة نوبل للآداب عام ١٩٢٧م ويعتبر برجسون من أهم الفلاسفة في العصر الحديث (معرفة اتحاد أسماء الفنانين).

(٣) أخرجه البخاري في صــحيحه، كتاب: فضــائل القرآن، باب: كيف نزول الوحي وأول ما نزل ٣/ ٢٦٠ ح ٤٩٨٠ جزء حديث .

(٤) انظر تفسير ظاهرة الوحي ص٣٣٠.

اعتقادهـم بأن الإسـلام دين بشـري من صنع عبقرية فردية أو ظروف اجتماعية أو اقتصادية كل ذلك لرفض حدوث الوحي وبث الشبهات حوله

ونصل في نهاية هذه الشبهة إلى خلاصة مفادها: صحة الوحي الإلهي الذي ينزل على الرسول ﷺ عن طريق جبريل - عليه السلام - وهذا الوحي خارج عن الذات المحمدية وليس أثراً من آثار المرض، أو الهلوسة أو الجنون، وليس تعبيراً عن اللاوعي الجماعي أو الشعور، وليس أثراً من آثار الزهد والتصوف الذي أخذ بهما الرسول قبل البعثة، وليس أثراً من الآثار الخارجية والداخلية التي تأثر بها الرسـول ﷺ سـواء أكان من العرب قبل الإسـلام أو من اليهود والنصـارى المقيمين بمكة والمدينة إبان البعثة النبوية.



ويكفي قول موريس بوكاي: [٢] في كتابه القرآن، والتوراة والإنجيل بمقياس العلم الحديث [٣]: " لقد أثارت دهشـتي هذه الجوانب العلمية التي يختص بها القرآن، والتي كانت مطابقة تمامًا للمعارف العلمية الحديثة، ولقد درسـت هذه النصـوص بروح متحررة من كل حكم سـابق،

---

(١) موريس بوكاي : هو طبيب فرنسي نشأ على المسيحية الكاثوليكية وكان الطبيب الشخصي للملك فيصل آل سعود ، ومع عمله في المملكة العربية السعودية وبعد دراسة للكتب المقدسة عند اليهود والمسلمين ومقارنة قصة فرعون (فقد قام بفحص جثة أحد الفراعنة وصرح على الفور بأن هذا الفرعون قد مات نتيجة غرقه ولازال ملح البحر مترسبًا فيجسده ، وأنه قد حصلت معجزة في نجاة هذا الفرعون بجسده ، لكن أحد المسلمين أخبره بأن القرآن قد ذكر قصـة فرعون وغرقه ونجاته ببدنه!! فقال هذا العالم : إن هذا غير معقول لأنني أول من شـاهد هذا الفرعون، وأول من علم بقصته بعد أن مضى على غرقه آلاف السنين !! ولكن عندما أُخبر بالآية التي تذكر القصـة قال تعالى: : ﴿ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً ۚ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ﴿٩٢﴾ ﴾ [سورة يونس:٩٢] خشع قلبه وقرر دراسة الإسلام وأعلن إسلامه بعد ذلك وألف كتاب التوراة والإنجيل والقرآن بمقياس العلم الحديث الذي ترجم لسبع عشرة لغة منها العربية . (انظر موقع الإعجاز العلمي لأبحاث ومقالات عبد الدائم الكحيل) .

(٢) ص١٤٤ : ١٤٨ (ط دار المعارف بمصر ١٩٧٧م .)





وبموضــوعية تامة. بيد أني لا أنكر تأثير التعاليم التي تلقيتها في شــبابي، حيث لم تكن الأغلبية تتحدث عن الإســلام، وإنما عن المحمديين لتأكيد الإشــارة إلى أن هذا الدين أســـه رجل. وبالتالي فهو ليس بدين ســماوي، فلا قيمة له عند الله، وكان يمكن أن أظل محتفظًا كالكثيرين من غير المتخصصين، عرفت أني كنت جاهلاً قبل أن يُعطي لي عن الإسلام صورة تختلف عن تلك التي تلقيتها في الغرب، وكان هدفي الأول قراءة القرآن آية آية مســتعينًا بمختلف التعليقات اللازمة للدراســة النقدية، وانتهيت بشــكل خاص إلى دقة بعض الإشــارات الخاصــة بالظواهر الطبيعية، ومطابقتها للمفاهيم التي نملكها اليوم عن هذه الظواهر نفســها، والتي لم يكن لأي إنسـان في عصـر محمد ﷺ أن يُكوّن عنها أدنى فكرة، ثم قرأت إثر ذلك مؤلفات كثيرة خصصـها كتاب مسـلمون للجوانب العلمية في القرآن، وعلى حين نجد في التوراة أخطاء علمية قادحة، فإنا لا نجد في القرآن أي خطأ. وقد دفعني ذلك إلى أن أتسـأل: لو كان مؤلف القرآن إنســانًا، فكيف استطاع في القرن السابع من العصر المسيحي أن يكتب ما اتضح أنه اتفق اليوم مع العلوم الحديثة؟ ليس هناك أي مجال للشــك فنص القرآن الذي نملك اليوم هو النص الأول نفســه. ومن ذا الذي كان في عصر نزوله يستطيع أن يملك ثقافة علمية تسبق بحوالي عشرة قرون ثقافتنا العلمية؟ حقًا إن إشارات القرآن قضايا ذات صبغة علمية تثير الدهشة

ففي القضايا التي تخضع للملاحظة، مثل تطور الجنين، يمكن مقابلة مختلف المراحل موصوفة في القرآن، مع معطيات علم الأجنة الحديثة لمعرفة مدى اتفاق الآيات القرآنية فيها مع العلم.

وحقًا إن لهذه الشهادة وزنها واعتبارها من عالم محقق، وباحث مدقق مثل الدكتور بوكاي الذي درس القرآن آية آية كما قال ونظر إليه من زاوية متخصص فاكتسى بحثه طابعًا علميًا أكاديميًا.

ومن هنا تنهار كل أقوال المستشـرقين بهذا الخصـوص. وما علينا إلا أن نؤمن بأن الوحي هو ما يكلف الله به أنبيائه من آياته وكتبه لتبليغها إلى عباده مهما اختلفت صوره وتعددت تصديقًا للآية الكريمـة: ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحۡيًا أَوۡ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوۡ يُرۡسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذۡنِهِۦ مَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾ ﴾ الشورى: ٥١



المطلب الثالث

الإنكار الجزئي للسنة

عرض آراء بعض المستشرقين:

تعرض الحديث النبوي الشريف لحملة طعونات وتشكيكات من المستشرقين. وتختلف وجهة نظرهم عن نظرة المسلمين للحديث. فالمستشرقون يرون أن معظم الأحاديث المنقولة عن النبي ﷺ هي في الحقيقة ليست أقوالا له، ولكن بعض تلك الأحاديث تنقل لنا أفكاره وتقريراته.

وتعتمد حجج المستشرقين ونتائجهم حول نظرتهم إلى الحديث النبوي الشريف على النتائج التي وضعها المستشرق "جولدتسيهر" في كتابه: " دراسات محمدية، "عام ١٨٨٩م. وكل من أتى بعد جولدتسيهر اعتمد على آرائه التي ذكرها في هذا الكتاب. ويرى "جولدتسيهر": « إنه من الصعوبة بمكان أن ننخل أو نميز وبثقة من كمية الحديث الكبيرة الواسعة، قسما صحيحا يمكننا نسبته إلى النبي أو إلى أصحابه ». وتوصل "جولدتسيهر" إلى النتيجة التالية: « إن الحديث النبوي وجد نتيجة للتطور الديني والتاريخي والاجتماعي الإسلامي خلال القرنين الأولين للهجرة " (٢)

كما رفض المستشرقون كثير من الأحاديث المقبولة بين المسلمين كأحاديث المعجزات النبوية لأن النبي بزعمهم لا يمكن أن يقول مثل تلك الأحاديث، والنبي لم يصدر عنه أية معجزات مادية. فالقرآن الذي يمثل صفات الرسول لا يذكر لنا أنه كان يعمل المعجزات. وقد زعم المستشرقون قائلين: «يوجد أحاديث عديدة تتكلم على الفتن قبل يوم القيامة وتتكلم على يوم القيامة، ويوجد أحاديث تصف الجنة والنار بالتفصيل. إن العقلية الغربية تجد من الصعوبة بمكان أن تقبل مثل تلك الأحاديث على أنها أحاديث صحيحة قالها النبي فعلا ». (٣)

---

(٢) دراسات محمدية لجولدتسيهر ص١٩.

(٣)روبسون في دائرة المعارف الإسلامية ص٢١٧ .



وقبل الرد على الزعم بأن النبي ﷺ لم يقع منه معجزة مادية كان لابد من بيان المعجزة، وكيف يثبتونها للأنبياء السابقين وينفونها عن محمد ﷺ:

فالمعجزة: هي الأمر الخارق للعادة المقرون بدعوى الرسالة، وقد أيد الله أنبيائه ورسله بالمعجزات الباهرة، فكانت برهاناً على أنهم صادقون فيما يتكلمون به عن الله ﷻ، ومعنى كون المعجزات خارقة للعادة أنها لم تجر العادة بوقوعها من إنسان، ولا قدرة لإنسان على صنع معجزة من المعجزات فلم تجر العادة مثلاً بأن تتفجر عيون الماء من صخرة لمجرد ضربها بعصا بيد إنسان، والثابت أن سيدنا موسى - عليه السلام - حين استسقى لقومه ضرب بعصاه الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عيناً بعدد أسباط بني إسرائيل الاثنى عشر قال تعالى: ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ﴾ [سورة البقرة : ٦٠] ولم تجر العادة بأن يتكلم صبي وهو وليد حديث الولادة، وقد تكلم سيدنا عيسى - عليه السلام - وهو في المهد لتبرئة أمه العذراء مما نسبه اليهود إليها فكان إفكاً وزوراً **قال تعالى**: ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ۝٢٩ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ۝٣٠ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ۝٣١﴾ [سورة مريم : ٢٩-٣١]

وكان ذلك كله صنع الله الذي أتقن كل شيء، وما كان للرسول قدرة على صنع شيء من تلك الآيات. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً ۚ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ۝٣٨﴾ [سورة الرعد : ٣٨] وقال تعالى حكاية عن بعض الرسل السابقين وقد قال لهم قومهم قال تعالى: ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ قَالُوا إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ۝١٠ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۖ وَمَا كَانَ لَنَا أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ۝١١﴾ [سورة إبراهيم : ١٠-١١] (٢) وإذا كان الأمر كذلك للأنبياء السابقين وجب أن يقال أن

---

(٢) انظر معجزات الرسول ' ودلائل صدق نبوته للشيخ إبراهيم جلهوم والشيخ عبدالسلام حماد ص٧ .



سنة الله تقضي بأن تقدم لمحمد ﷺ ألوانـًا من هذه المعجزات فتمنحه نصيبـًا كبيراً من المنح التي تفضل الله بها على سائر الأنبياء عيسى وموسى وإبراهيم وغيرهم كثير.

أما لو قلنا إن سـنة الله وهبت هذه المنحة كل الأنبياء قبل محمد ﷺ وقسـمت عليهم من ذلك ما شـاء الله، فلما أن جاءت عند خاتمهم وأعمهم دينـًا ودعوة حرمته ذلك الفضـل حرمانـًا باتـًا لكنا بذلك مخالفين لسنة الله مخصصين إياها، ولم نتركها على نمط واحد. (٢)

أما اعتماد المستشرقون على القرآن الكريم في زعمهم بأن النبي ﷺ لم تقع منه معجزة مادية إذ لم ترد فيه آية تنسب له معجزة مادية، فنقول:

١ – متى كان المستـشـرقون أصـلا يؤمنون بالقرآن ويعتمدونه مصـدرا يستشـهدون به كدليل لما يقولونه؟

٢– ثبت في القرآن الكريم نسـبة معجزات مادية للنبي ﷺ، كحادثة الإسـراء والمعراج، وشـق الصدر، وانشقاق القمر، وحفظه من القتل، وغيرها من الأمور.

٣– إن نسبة المشركين السحر للنبي ﷺ، لدليل قاطع على وقوع المعجزات المادية منه، وبما أن الكافرين لا يؤمنون به فقد عبروا عن تلك الأمور الخارقة للعادة بأنها سـحر كفراً منهم بالحق الذي عاينوه.

٤ – أفـرد علمـاء الأمـة كتبـًا كثيـرة للكـلام علـى المعجـزات الماديـة للنبـي ﷺ، وقـد وصـل تعـداد هـذه الكتـب إلـى مـا يقـرب مـن تسـع وأربعـين كتابـا. ومـن هـذه الكتـب أعـلام النبـوة للمـأمون العباسـي ٢١٨ هـ، وكتـاب: دلائـل النبـوة للحميـدي عبـد الله بـن الزبيـر المكـي ٢١٩ هـ، ودلائـل النبـوة لأبـي بكـر البيهقـي أحمـد بـن الحسـين ٤٥٨ هـ، وقـد ملئـت كتـب الحـديث النبـوي الشـريف والسـيرة النبويـة بـالكلام علـى هـذه المعجـزات(٣)، فلمـاذا أغمـض المستشـرقون وَمَـنْ لَـفَّ لفهـم أعيـنهم عـن هـذا القـدر الهائـل مـن الأحاديـث

(٢) انظر نقد كتاب حياة محمد لعبدالله بن علي النجدي القصيمي ٣٥ـ٣٨ بتصرف مطبعة الرحمانية مصر .

(٣) حق اليقين في معجزات خاتم الأنبياء والمرسلين، لإبراهيم بن عايش الحمد ص: ٦-٩.



والكتب التي ذكرت تلك المعجزات؟

٥- إذا كانت قضـية المعجزة مرتبطة مباشـرة بالإيمان بالرسـالة المحمدية أولا وآخرا، فالذي لا يؤمن بالرسـالة المحمدية لا يمكن أن نتصـور منه الإيمان بالجزئيات التي تصـدر عن ذلك النبي الكريم ﷺ، أما المؤمن فإنه لا يسـتبعد وقوع كل المعجزات الغيبية التي أخبر عنها ذلك النبي الكريم ﷺ، سـواء كانت إخباراً عن بلدة أو فرقة أو حادثة سـتقع، بل إن المؤمن يزداد إيمانا عند علمه بتحقق وقوع ما أخبر عنه الصادق المصدوق ﷺ مثل تحقق إخباره ﷺ عن فتح القسطنطينية ومدحه للجيش الذي سيفتح القسـطنطينية، ولقائد ذلك الجيش، وكإخباره عن نهر الأردن بقوله ﷺ فيما رواه عنه نهيك بن صريم السكوني: " لتقاتلن المشركين حتى يقاتل بقيتكم الدجال على نهر الأردن، أنتم شرقيه وهم غربيه" قال نهيك: ولا أدري أين الأردن يومئذ؟ (٢).

ولإثبات المعجزات عن النبي ﷺ أورد بعض الشـبهات التي أنكرها المسـتشـرقون ومن تأثر بهم للرد على هذه الشبه ودحض آراءهم.

---

(٢) أخرجه الطبراني في مسند الشاميين ح٦٣٨ قال حدثنا محمد بن عبدالله الحضرمي ثنا يحيى الحماني ثنا محمد بن أبان عن يزيد بن يزيد بن جابر عن بُسر بن عبيدالله عن أبي إدريس عن نهيك بن صريم السكوتي ، وابن أبي عاصـم في الأحاد والمثاني ، ٤/ ٤٠٩ ح ٢٤٥٨ قال حدثنا محمد بن المثنى ثنا إبراهيم بن سـليمان أبو إسحاق الدباس ثقة نا محمد بن أبان .. به

والبزار في كشـف الأسـتار : ٤/ ١٣٨ ، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد : ٧/ ٣٤٨ وقال: رواه الطبراني والبزار ورجال البزار ثقات وأقره الشيخ الأعظمي في تعليقه على كشف الأستار .

١- الشبهات المثارة حول حادثة شق الصدر عرض ونقد:

الطعن في معجزة شق الصدر[٢].:

يذهب أعداء الإسلام من المستشرقين وأذيالهم من أعداء السنة المطهرة إلى إنكار الشق الحسي لصـدر النبي ﷺ، ويسـتدلون على ذلك بأن شـق الصـدر يتنافى مع الطبيعة البشـرية، كما أنه أمر خيالي غير معقول، ويدخل في باب تبديل سـنن الله في خلقه، وهم بذلك ينفون إخراج حظ الشـيطان من قلبه ﷺ بغية إنزاله منزلة عوام الناس، ونفي إرهاصـات النبوة عنه في نشـأته الأولى، وقد عدّ علماء المسـلمين تلك الحادثة من الدلائل الإعجازية على نبوة النبي محمد ﷺ فقد قال ابن حجر العسقلاني: " وقد اشتملت هذه القصة من خوارق العادة على ما يدهش سامعه، فضلاً عمن شـاهده. فقد جرت العادة بأن من شُـقّ بطنه، وأخرج قلبه يموت لا محالة. ومع ذلك فلم يؤثر فيه ذلك ضـرراً، ولا وجعـًا فضـلاً عن غير ذلك " [٣]، ونقل عن ابن أبي جمرة قوله أن: " الحكمة من شق قلبه مع القدرة أن يمتلئ إيمانـًا وحكمة بغير شق الزيادة في قوة اليقين لأنه أعطي برؤية شـق بطنه وعدم تأثره بذلك ما أمن معه من جميع المخاوف العادية فلذلك، كان أشـجع الناس وأعلاهم حالاً ومقامـًا "[٤]. إلا أنها أيضـًا كانت مجال لاستنكار بعض علماء المسـلمين قديمـًا وحديثـًا، وقد أشار الفخر الرازي لهذا الخلاف في تفسيره لسورة الشرح في التفسير الكبير حيث قال: " وفي شـرح الصـدر قولان: الأول: ما روي أن جبريل – عليه السلام – أتاه وشـق صـدره وأخرج قلبه وغسله وأنقاه من المعاصي،

ثم ملأه علمـًا وإيمانـًا ووضعه في صدره. بينما ذهب البعض الآخر من المفسرين كالبغوي، وابن كثير والطبري في تفسـير هذه الآية: أن الشـرح المعني في هذه الآية ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾ ﴾

---

(٢) وهي من المعجزات الحسية: والمعجزات الحسية وإن لم تكن مشاهدة للناس الآن ولا واقعة أمامهم إلا أنها تملأ القلوب إجلالاً لرسول الله ‘وحبـًا له وشعوراً بعظمته.

(٣) انظر فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب: واذكر في الكتاب مريم ٦/ ٥١٢ .

(٤) نقلاً عن الصحيح من سيرة النبي العظم لجعفر مرتضى ٢/ ٨٣ دار السيرة بيروت ط ١٩٩٥ م .

(الشـرح: ١) ليس شـرحـًا عضـويـًا بشـق الصـدر، وإنما انشـراحـًا معنويـًا للصـدر مما أثقله من هموم [٢].

فأورد أولاً آراء المشككين في حادثة شق الصدر، ثم تأتي الردود العلمية عليها مسلسلة:

تفاوتت أقوال المستشرقين في إنكار حادثة شق الصدر وتفسيراتهم لها وتباينت وجهات نظرهم تباينـًا واضحـًا.

فـبعض المستشـرقين مثـل " سـير ولـيم مـوير "[٣] يرجعـه إلـى نوبـة عصـبية أصـابته ولـم يكـن لها أ ن تؤذي صحته لحسن تكوينه [٤]. ووافقه على ذلك المستشرق" نيكولسون "[٥].

بينما يرى درمنغم أنه لم يكن في حاجة إلى من يشق بطنه أو صدره ما دام الله قد أعده من يوم خلقه لتلقي رسـالته وأن هذه القصـة لا تسـتند إلى شـيئ غير ما يفهم من ظاهرة الآيات: ﴿ أَلَمۡ نَشۡرَحۡ لَكَ صَدۡرَكَ ۝١ وَوَضَعۡنَا عَنكَ وِزۡرَكَ ۝٢ ٱلَّذِيٓ أَنقَضَ ظَهۡرَكَ ۝٣ ﴾(الشـــرح: ١ - ٣)وأن ما يشـير إليه القرآن إنما هو عمل روحي بحت، والغاية منه تطهير هذا القلب وتنظيفه ليتلقى الرسـالة القدسـية خالصـًا، ويؤديها مخلصـًا تمام الإخلاص محتملاً عبء الرسالة المضني [٦].

---

(٢) انظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير سورة الشرح ، وتفسير الطبري سورة الشرح ، وتفسير البغوي سورة الشرح .

(٢) وليم موير نيبال: (١٨١٩ ـــ ١٩٠٥م) مستشـرق اسـكتلندي قام بعمل دراسـات حول حياة النبي محمد ، والخلافة الإسلامية المبكرة ، وتولى إدارة جامعة ادنبرة . (انظر الموسوعة الحرة)

(٤) دائرة المعارف ٢/ ٦٣٠ .

(٤) نيكلسون: هو رينولد ألين نيكلسون (١٨٦٨ ـ ١٩٤٥م) مستشرق انجليزي متخصص في التصوف والأدب الفارسـي، ويعتبر من أفضـل المترجمين . له مقالات كثيرة في دائرة معارف الدين والأخلاق، ودائرة معارف الإسلام . (انظر الموسوعة الحرة) .

(٦) حياة محمد لدرمنغم ص٤٨ .

- أما "شـبرنجر"[٢] فيفسـر ظاهرة شـق الصـدر بأنها من قبيل الخرافات وليس لها نصـيب من الحق. [٣].

- ويعلق" آتيان دينيه " في كتابه " محمد رسـول الله " على حادثة شـق الصـدر بقوله: " سـجل القرآن هذه الحادثة في قوله ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾ ﴾ الشرح: ١ هذه القصة ككل القصص التي من نوعها، والتي يجدها القارئ أثناء قراءته هذا الكتاب يجب أن تؤل تأويلاً رمزيًا والقصـة التي نحن بصـددها تعني أن الله شـرح صـدر محمد ﷺ إلى الفرح بحقيقة التوحيد، إذ أزال عنه منذ الطفولة وزر الوثنية " [٤].

- وبهذا التفسير الروحي فسر الشيخ محمد الغزالي مسألة شق الصدر لاستخراج علقة من قلب النبي محمد ﷺ فقال في كتابه " فقه السيرة " لو كان الشر إفراز غدة في الجسم ينحسم بانحسامها، أو لو كان الخير مادة يزود بها القلب كما تزود الطائرة بالوقود فتستطيع السمو والتحليق لقلنا: إن ظواهر هذه الآثار مقصـودة. ولكن أمر الخير والشـر أبعد من ذلك، بل من البديهي أنه بالناحية الروحية في الإنسان ألصق. وإذا اتصل الأمر بالحدود
التي يعمل الروح في نطاقها، يصبح البحث لا جدوى منه لأنه فوق الطاقة. " [٥]

- كما تناول محمد حسـنين هيكل في كتابه " حياة محمد ﷺ " مسـألة شـق الصـدر في بادية بني سعد، فقال: " لا يطمئن المستشرقون ولا يطمئن جماعة من المسلمين كذلك إلى قصة الملكين

---

(١) سبرنجر : هو ألويس اشبرنجر : (١٨١١ ــ ١٨٩٣م) مستشرق نمساوي اشتغل في مدرسة دهلي ومطبعة كالكوتا في الهند عام ١٨٤٢ م تجنس بالجنسية الإنجليزية واشتهر بكتابه (حياة محمد) (موسوعة المستشرقين للدكتور عبد الرحمن بدوي ص١٣٣)

(٣) الرسول في كتابات المستشرقين لنذير حمدان ص١١٢ ، ودائرة المعارف ٢/ ٦٣٠ .

(٤) محمد رسول الله آتيان دينيه ص٨٥ .

(٥) فقه السيرة للإمام محمد الغزالي ص ٥٤ .



هذه ويرونها ضعيفة السند " [٢].

وقد تأثر بهذا الفكر الاستشراقي أعداء السنة المطهرة:

يقول محمود أبو رية مصرحـًا بهذا التأثير في كتابه أضواء على السنة: " من شاء أن يستزيد من معرفة الإسرائيليات والمسيحيات وغيرها في الدين الإسلامي، فليرجع إلى كتب التفسير والحديث والتاريخ وإلى كتب المستشرقين أمثال" جولدتسيهر " و" فون كريمر " وغيرهما. [٣]

وقد طعن أبو رية في حديث شق الصدر والذي رواه أنس بن مالك - رضي الله عنه -- أن رسول الله ﷺ أتاه جبريل - عليه السلام -وهو يلعب مع الغلمان، فأخذه فصرعه فشق عن قلبه، فاستخرج القلب، فاستخرج منه علقة، فقال هذا حظ الشيطان منك، ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم " ويقول إن هذا الحديث يخالف حديث البخاري " ما من بني آدم مولود إلا يمسه الشيطان حين يولد فيستهل صارخـًا من مس الشيطان غير مريم وابنها " [٤] وبذلك لم يسلم من طعن الشيطان أحد غيرهما من بني آدم أجمعين، حتى الرسل:

نوح وإبراهيم وموسى وغيرهم، وخاتمهم محمد ﷺ، وقال بل كان من رواياتهم أن النبي ﷺ لم ينج من نخسة الشيطان إلا بعد أن نفذت الطعنة إلى قلبه، وكان ذلك بعملية جراحية تولتها الملائكة بآلات جراحية مصنوعة من الذهب، وأن هذه العملية لم تنجح فأعيد شق صدره، وإن

---

(١) مستشرق انجليزي متخصص في الدراسات العربية حصل على الدكتوراه من جامعة ادنبرة ومن شهادته :" لقد كان محمد قائداً سياسياً وزعيماً دينياً في آن واحد ، لكن لم تكن لديه عجرفة رجال الدين، ولم تكن لديه جيوش مجيشة ولا حرس خاص ، أو قصر مشيد أو عائد ثابت وغذا كان لأحد أن يقول أنه حكيم بالقدرة الإلهية فإنه محمد لأنه استطاع الإمساك بزمام السلطة دون أن يملك أدواتها .(من كتابه محمد والمحمدية ص٩٢) .

(٣) حياة محمد لمحمد حسنين هيكل ص١٢٩، ١٣٠ .

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب : الأنبياء ، باب: قول الله تعالى " واذكر في الكتاب مريم " ٦/ ٥٤١ ح ٣٤٣١ .

هذه العملية الجراحية تشبه من بعض الوجوه عملية صلب السيد المسيح – عليه السلام – [٢].

ويجاب عن هذه الشبهة بما يلي:

أولاً " نص حديث شق الصدر ورواياته والحكم عليه:

جاء حديث شــق الصــدر على عدة روايات نقلها الرواة عن ثلاثة من الصــحابة هم: مالك بن صعصعة، وأنس بن مالك، وأبي ذر الغفاري:

ـ أولاً: رواية مالك بن صعصعة جاءت على أربعة أوجه

الوجه الأول:

من حديث هدبة بن خالد قال حدثنا همام بن يحيى حدثنا قتادة عن أنس بن مالك عن مالك بن صــعصــعة – رضي الله عنهما – أن نبي الله ﷺ حدثهم عن ليلة أُســري به " بينما أنا في الحطيم وربما قال في الحجر مضــطجعـًا إذ أتاني آتٍ فَقَدَّ، قال وسـمعته يقول فَشَـقَّ ما بين هذه إلى هذه فقلت للجارود وهو إلى جنبي ما يعني به قال ثغره إلى نحره إلى شعرته فاستخرج قلبي ثم أُتيت بطست من ذهب مملوءة إيمانـًا فغسل قلبي ثم حُشي..... الحديث " [٣]

الوجه الثاني:

من حديث خليفة (وهو ابن خياط) عن يزيد بن زريع عن ســعيد (وهو ابن أبي عروبة) وهشــام (وهو الدستوائي) عن قتادة عن أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة أنه قال: " قال النبي ﷺ بينا أنا عند البيت بين النائم واليقظان وذكر بين الرجلين فأُتيت بطســت من ذهب مُلِئَ حكمةً وإيمانـًا فَشُــقَّ من النحر إلى مراق البطن ثم غُســل البَطْنُ بمـاء زمزم ثم مُلِئ حكمـةً وإيمـانــًا..... الحديث "[٤].

---

(٢) أضواء على السنة ص١٨٥ : ١٨٧ بتصرف .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب : مناقب الأنصار ، باب: المعراج ٢/ ٨١٥ ح ٣٨٨٧ ، وأحمد بن حنبل في مسنده : مسند الشاميين مالك بن صعصعة ح ١٧٣٨٠ .

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب : بدء الخلق ، باب: ذكر الملائكة ٢/ ٦٨٣ ح ٣٢٠٧ .



الوجه الثالث:

من حديث محمد بن بشار عن محمد بن جعفر وابن عدي عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة بن دعامة عن أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة أن النبي محمد ﷺ قال: " بينما أنا عند البيت بين النائم واليقظان، إذ سمعت قائلاً يقول: " أحد بين الثلاثة " فأُتيتُ بطست من ذهب فيها ماء زمزم، فشرح صدري إلي كذا وكذا، قال قتادة قلت لأنس بن مالك: " ما يعني " قال: إلى أسفل بطني فاستخرج قلبي، فغسل قلبي بماء زمزم، ثم أعيد مكانه، ثم حُشي إيمانًا وحكمة "[٢]

الوجه الرابع:

من حديث يعقوب (وهوابن إبراهيم الدورقي)عن يحيى (وهو ابن سعيد القطان) عن هشام (الدستوائي) عن قتادة عن أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة أن النبي محمد ﷺ قال: " بينا أنا عند البيت بين النائم واليقظان، إذ أقبل أحد الثلاثة بين الرجلين. فأتيت بطست من ذهب ملآن حكمة وإيمانـًا، فشق من النحر إلى مراق البطن فغسل القلب بماء زمزم، ثم مُلئ حكمة وإيمانـًا.... الحديث "[٣].

ثانياً: **رواية أنس بن مالك جاءت على ثلاثة أوجه**:

الوجه الأول: حديث عبدالعزيز بن عبدالله عن سليمان بن بلال عن شريك بن عبدالله أنه قال: سمعت أنس بن مالك يقول: ليلة أسري برسول الله ﷺ من مسجد الكعبة أنه جاءه ثلاثة نفر قبل أن يوحى إليه، وهو نائم في المسجد الحرام، فقال أولهم: " أيهم هو " فقال أوسطهم، هو خيرهم " فقال آخرهم: " خذوا خيرهم " فكانت تلك الليلة. فلم يرهم حتى أتوه ليلة آخرى فيما يرى

---

(٢) أخرجه الترمذي في سننه ، كتاب : تفسير القرآن ، باب: ومن سورة " ألم نشرح " ٥/ ٢٢٩ ح ٣٣٥٧ . قال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح وفي الحديث قصة طويلة .

(٣) أخرجه النسائي في سننه ، كتاب: الصلاة ، باب: فرض الصلاة وذكر اختلاف الناقلين في إسناد حديث أنس بن مالك واختلاف ألفاظهم فيه ١/ ٢٣٧ ح ٤٤٧ . في قصة طويلة . والحديث صحيح رواته ثقات ففيه يعقوب بن إبراهيم الدورقي ثقة فاضل (تقريب التهذيب ٢/ ٣٧٤) ، ويحيى بن سعيد بن فروخ القطان ثقة متقن حافظ (تقريب التهذيب ٢/ ٣٤٨)، وهشام بن عبدالله أبو بكر الدستوائي ثقة ثبت (تقريب التهذيب ٢/ ٣١٩).

قلبه وتنام عينه ولا ينام قلبه، وكذلك الأنبياء تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم. فلم يكلموه حتى احتملوه فوضعوه عند بئر زمزم، فتولاه منهم جبريل، فشق جبريل ما بين نحره إلى لبته، حتى فرغ من صدره وجوفه، فغسله من ماء زمزم بيده حتى أنقى جوفه. ثم أتى بطست من ذهب فيه نور من ذهب محشواً إيمانًا وحكمة فحشا به صدره ولغاديده يعني عروق حلقه، ثم أطبقه، ثم عرج به إلى السماء الدنيا فضرب بابًا من أبوابها... في قصة طويلة "[٢].

الوجه الثاني: حديث شيبان بن فروخ حدث عن حماد بن سلمة عن ثابت البناني عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ أتاه جبريل عليه السلام وهو يلعب مع الغلمان، فأخذه فصرعه، فشق عن قلبه، فاستخرج القلب، فاستخرج منه علقة، فقال: " هذا حظ الشيطان منك " ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم، ثم لامه، ثم أعاده في مكانه. وجاء الغلمان يسعون إلى أمه يعني ظئره[٣] فقالوا: " إن محمداً قد قُتل " فاستقبلوه وهو منتقع اللون "، وقال أنس: " لقد كنت أرى أثر المخيط في صدره "[٤].

الوجه الثالث: من حديث عبدالله بن هاشم العبدي حدث عن بهز بن أسد عن سليمان بن المغيرة عن ثابت عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: " أُتيتُ فانطلقوا بي إلى زمزم فشُرح عن صدري[٥] ثُمَّ غُسلَ بِماءِ زَمْزَمَ ثُمَّ أُنزلتُ "[٦].

---

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: التوحيد ، باب : قوله " وكلم الله موسى تكليما " ٤/ ٧٥٠، ٧٥١ح٧٥١٥.

(٣) الظئر : هي المرأة المرضعة لولد غيرها (النهاية في غريب الحديث ١/ ٢٢٣)

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب: الإيمان ، باب: الإسراء برسول الله ' ١/ ١٤٧ ح ٢٦١ ، وأحمد بن حنبل في مسنده : مسند أنس بن مالك ح ١٣٦٥٥ .

(٥) أي شقَّ .

(٦) أخرجه مسلم في صحيحه الكتاب والباب السابق ح ٢٦٠ .

ثالثاً: **رواية أبو ذر الغفاري جاءت على وجهين**:

الوجه الأول: من حديث يحيى بن بكير عن الليث بن سعد عن يونس بن يزيد عن ابن شهاب عن أنس بن مالك عن أبي ذر الغفاري أن رسـول الله ﷺ قال: " فرج عن سـقف بيتي وأنا بمكة فنزل جبريل ﷺ ففرج صدري، ثم غسله بماء زمزم، ثم جاء بطست من ذهب ممتلئ حكمة وإيمانًا، فأفرغه في صدري، ثم أطبقه ثم أخذ بيدي فعرج بي إلى السماء... الحديث "[٢].

الوجه الثاني: حديث حرملة بن يحيى التجيبي حدث عن عبدالله بن وهب عن يونس بن يزيد عن ابن شـهاب الزهري عن أنس بن مالك عن أبي ذر الغفاري أن رسـول الله ﷺ قال: " فُرِج سـقفُ بيتي وأنا بمكة فنزل جبريلﷺ ففرج صـدري. ثُم غَسَـلَهُ من ماء زمزم. ثم جاء بطست من ذهب ممتلئ حكمة وإيمانًا. فأفرغها في صدري، ثم أطبقه.... الحديث "[٣].


ومن خلال هذه الأوجه يتبين لنا أن حادثة شق الصدر وقعت للنبي ﷺ أربع مرات

الأولى: شقَّ صدر النبي ﷺ في فترة الرضاع في ديار بني ساعدة وأخرج منه حظ الشيطان فنشأ على أكمل الأحوال من العصـمة من الشـيطان كما جاء في الوجه الثاني من حديث أنس بن مالك الذي أخرجه مسلم في صحيحه.

الثانية: شق صدر النبي ﷺ عند البعثة قبل الوحي بمكة عند البيت الحرام زيادة في إكرامه ليتلقى ما يوحى إليه بقلب قوي في أكمل الأحوال من التطهير كما جاء في الوجه الثالث من حديث مالك بن صعصعة الذي أخرجه الترمذي في سننه والوجه الثالث من حديث أنس بن مالك الذي أخرجه مسلم في صحيحه.

الثالثة: شـق صـدر النبي ﷺ في بيته عند إرادة العروج إلى السـماء ليتأهب للمناجاة. ويحتمل أن تكون الحكمة في انفراج سقف بيته الإشارة إلى ما سيقع من شق صدره وأنه سيلتئم بغير معالجة

---

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب: الصلاة ، باب: كيف فرضت الصلوات في الإسراء ١/ ٨٠ح ٣٤٩ .

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه ،كتاب: الصلاة ،باب: الإسراء برسول الله ُإلى السموات، وفرض الصلوات ١/ ١٤٨ ح ٢٣٦ .

يتضرر بها [٢] كما جاء في الوجه الأول والثاني من حديث مالك بن صعصعة عند البخاري، وكما جاء في حديث أبو ذر الغفاري.

الرابعة: شقَّ صدر النبي ﷺ عند البيت الحرام قبيل رحلة الإسراء والمعراج كما في الوجه الأول من حديث أنس بن مالك الذي أخرجه البخاري.



ودافع الدكتور محمد أبو شـهبة عن التشـكيك في تكرار الحادثة عدة مرات فقال: " وقصـة شـق الصدر ثابتة بالأحاديث الصحيحة، وقد وقع ذلك مرة في صغره وهو عند مرضعته السيدة حليمة السعدية، ومرة أخرى عند الإسراء والمعراج وهي ثابتة في الصحيحين، بل قيل بحصول الشق في غير هاتين المرتين وتكرره إنما كان لتجديد اسـتعداده ﷺ لما يلقى إليه من الوحي الفينة بعد الفينة"[٣]

الحكم على الحديث:

وهذه الروايات بجميع طرقها كلها صـحيحة فقد أوردها البخاري ومسـلم في صـحيحيهما، والترمذي وحكم عليها بالصحة، والنسائي وأحمد من طرق صحيحة.

ثانيًا: أما عن كونها لا تتناسب مع الطبيعة البشرية فلنا أن نتساءل: ألم تؤمنوا بمعجزات عيسى عليه السلام ؟! هل من الطبيعة البشرية أن يتكلم سيدنا عيسى – عليه السلام – وهو ما زال في المهد صبيًا؟! وهل من الطبيعة الإنسانية المألوفة إحياء الموتى، وإبراء الأبرص والأكمه؟! فهؤلاء المشككون يؤمنون بأن عيسى – عليه السلام – إنسان وأن حياته حياة إنسانية، وفي الوقت نفسه يؤمنون بأن عيسى تكلم في المهد، وكان يحيي الموتى ويبرئ الأكمه والأبرص بإذن الله.

– وهل من الطبيعة البشرية أن يلقى الإنسان في النار فلا تصيبه بسوء، وإذا هي عليه برد وسلام؟! فهم يؤمنون أيضًا بأن إبراهيم – عليه السلام – ألقي في النار وخرج منها سالمًا، وهو إنسان، وحياته حياة إنسانية!، وقد أعطى الله لموسى – عليه السلام – تسع آيات: (العصا، واليد، والدم، والطوفان،

---

(٢) انظر فتح الباري شرح صحيح البخاري ١/ ٥٤٩ .

(٣) دفاع عن السنة للأستاذ الدكتور محمد أبو شهبة ص ٨٩ .

والجراد، والقمل، والضفادع، والطمس، والبحر) أليس كل هذه معجزات تتنافى مع الطبيعة البشرية؟!

كما ألان الله الحديد لداود، وسخر معه الجبال، والطير، فكانت تسبح بالعشي والإشراق. وغير هذه النماذج كثير.



وإذا كان الأمر على نحو ما أسلفنا، فكيف تؤمنون بهذه المعجزات وتكفرون بتلك؟!

ثم كيف يتنافى شق الصدر مع الطبيعة البشرية الإنسانية المألوفة ونحن نرى الطب الآن يشق ما يشاء لا في الصدور فحسب بل يشق ما يشاء من جسم الإنسان؟! وإذا كان هذا ثابتًا في حق المخلوق؛ فهو في حق الخالق من باب أولى، فله سبحانه أن يشق صدور من يشاء من عباده، ويخصه بما شاء من المعجزات.

ثالثاً: أما الرد على قولهم بأن العقل لا يجيز ذلك فحقَّ لنا أن نتعجب من هذا الادعاء في هذا العصر الحديث ونحن في زمن التقدم المذهل للجراحة وتفوق الجراحين. من أمثال عمليات القلب المفتوح، والاستئصال بما يسمى المنظار دون شق، ولعل ما أثاره هؤلاء حديثًا كان له وجه من القبول أو المسوغات لو أثير قديمًا، أما في هذه الأيام فلا، ومعلوم أنه قد تقدم العلم، والطب، والجراحة، والتخدير، والعمليات الجراحية صارت تجرى في غرف معقمة، ووسائل مختلفة، وتقنية جد ماهرة، فأمكن للجراحين اليوم إجراء مختلف أنواع العمليات الجراحية في كل موضع من الجسم؛ بهدف استئصال الداء وطرحه حيث لم تعد تنفع الوسائل الطبية، حتى أمكن اليوم استخراج القلب، وليس فقط معالجته، وأن يستبدل قلب تالف بآخر صحيح من إنسان مات حديثًا، أو حتى بقلب صناعي، ثم تخاط طبقات الجسم فلا يموت المريض. [٢]

ولو أن العقل يأبى شق الصدر، ويأبى جوازه لكان إباؤه لسائر معجزات الأنبياء، والعقل في حكمه على الأشياء بالاستحالة والجواز، لا يفرق بين نبي ونبي، فلا يفرق بين عيسى ومحمد عليهما السلام ولا

---

(٢) انظر دلائل النبوة للبيهقي علق عليه د. عبد المعطي قلعجي بتصرف ١/ ١٣٩ ، و١٣٩ . ط دار الكتب العلمية

بين محمد وموسى عليهما السلام.

رابعاً: الرد على السير وليم موير ونيكولسون اللذان أرجعا شق الصدر إلى نوبة عصبية أصابته:

العجب كل العجب لمن ادعى ذلك، إن سيرة النبي ﷺ تشهد بكمال عقله ﷺ وبسلامة حواسه وبقوة بنيانه الجسدي. وإلا فكيف تؤمن أمة بأكملها برسالة رجل مصروع؟! بل كيف يقنعهم بما جاء به فيصدقونه ويسيرون تحت قيادته؟! وكيف يصنع منهم أمة ذات حضارة عريقة إلا إذا كان ذا عقلية موهوبة وذكاء حاد، إضافة إلى التوفيق والتأييد من عند الله؟! لذا كان ﷺ أمة وحده. لقد تناقض هؤلاء الطاعنون مع أنفسهم حين اتهموا الرسول ﷺ بذلك لأنهم كانوا يعلمون مدى رجحان عقله ﷺ فقد أجمع المؤرخون على أن النبي ﷺ قبل البعثة وبعدها كان يتمتع بكامل قواه العقلية والبشرية. خاصة أن كمال العقل والفطنة من أبرز صفات الرسل الذاتية التي منحهم الله تعالى إياها، وهي من لوازم الرسالة الإلهية، والاصطفاء الرباني

لها [٢].

خامساً: الرد على من زعم أن شق الصدر عمل روحي لا يستند إلى دليل غير الآيات من أمثال " درمنغم "فإنه يعزو شرح الصدر إلى أمر معنوي نبهت إليه سورة

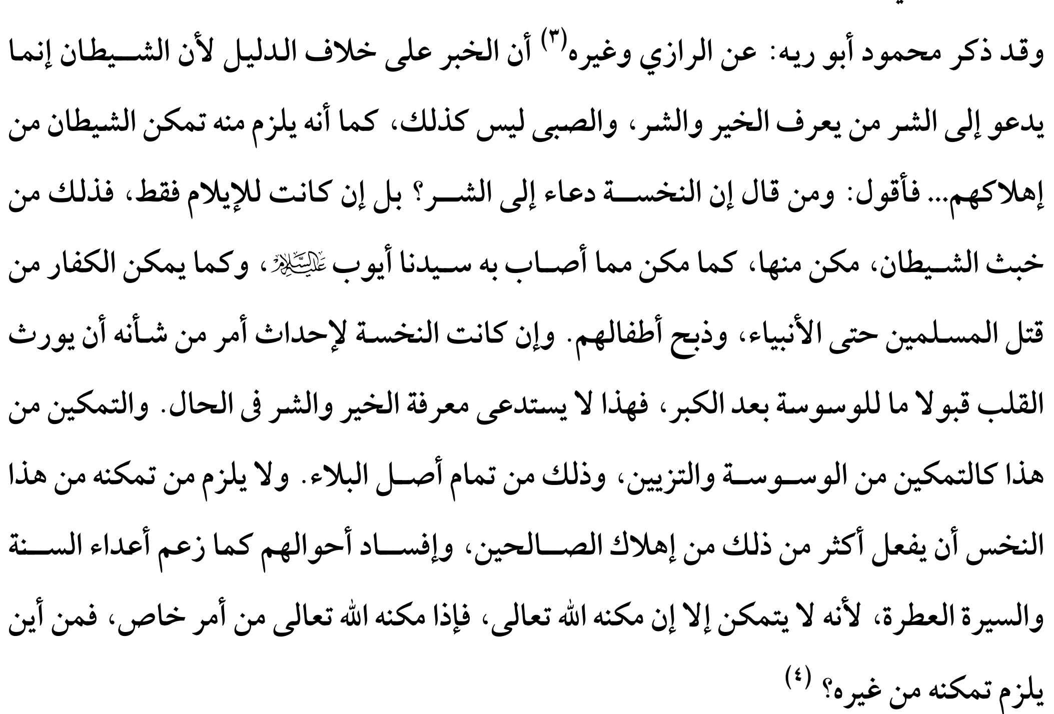
" الشرح " فيجاب على ذلك بأن كتب السنة روت بالأحاديث الصحيحة، وروت كتب السيرة – كذلك – هذه الحادثة التي توجه النظر إلى عناية الله – ﷻ – برسوله ﷺ منذ طفولته المبكرة، وأن من مظاهر هذه العناية: أن يستخرج الله حظ الشيطان من قلبه منذ سنينه الأولى؛ حتى لا يسلك الشيطان إليه سبيلا.

وإن الله الذي شاءت إرادته – منذ الأزل – أن يكون محمد ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين، أراد سبحانه أن يجعل منه المثل الكامل للإنسان الكامل، والإنسان يبدأ السير نحو الكمال بطهارة القلب، وتصفية النفس، والتوبة والإخلاص، أو بتعبير آخر بشق الصدر واستخراج حظ الشيطان

---

(٢) انظر محمد رسول الله لمحمد رضا ، ص٤٢ ، رد شبهات حول عصمة النبي ' د. عماد الشربيني ص٩١ بتصرف

منه. ولقد أرسل الله ملائكته، فشقوا عن صدر الرسول ﷺ واستخرجوا حظ الشيطان منه، وملأوه سكينة وإيمانًا، وحكمة، ورحمة ورأفة فكان ﷺ رأفة على الصغير والكبير(٢).



سابعًا: الرد على قرن محمود أبو ريه بين قصة شق الصدر، وحديث نخس الشيطان كل مولود. فلا وجه لهذه المقارنة، لأن شق الصدر لم يكن لإزالة أثر النخسة كما زعم، وإنما كانت لتطهير القلب من شيء يخلق لكل إنسان بمقتضى أنه خُلق ليبتلى.

وقد ذكر محمود أبو ريه: عن الرازي وغيره(٣) أن الخبر على خلاف الدليل لأن الشيطان إنما يدعو إلى الشر من يعرف الخير والشر، والصبى ليس كذلك، كما أنه يلزم منه تمكن الشيطان من إهلاكهم... فأقول: ومن قال إن النخسة دعاء إلى الشر؟ بل إن كانت للإيلام فقط، فذلك من خبث الشيطان، مكن منها، كما مكن مما أصاب به سيدنا أيوب عليه السلام، وكما يمكن الكفار من قتل المسلمين حتى الأنبياء، وذبح أطفالهم. وإن كانت النخسة لإحداث أمر من شأنه أن يورث القلب قبولا ما للوسوسة بعد الكبر، فهذا لا يستدعى معرفة الخير والشر فى الحال. والتمكين من هذا كالتمكين من الوسوسة والتزيين، وذلك من تمام أصل البلاء. ولا يلزم من تمكنه من هذا النخس أن يفعل أكثر من ذلك من إهلاك الصالحين، وإفساد أحوالهم كما زعم أعداء السنة والسيرة العطرة، لأنه لا يتمكن إلا إن مكنه الله تعالى، فإذا مكنه الله تعالى من أمر خاص، فمن أين يلزم تمكنه من غيره؟ (٤)

ثامناً: الرد على القول بأن شق الصدر يشبه عملية صلب المسيح:

فيجاب على ذلك بأنه لا وجه للمقارنة بين شق الصدر والصلب لما يلى:

---

(٢) مقدمات النبوة وإعداد الرسول ' مع معجزاته وخصائصه ليحيى إسماعيل ص١٣٨ .

(٣) أضواء على السنة ص١٨٨ ، وجامع البيان عن تأويل القرآن ٢ / ٤٠٩ . رد شبهات حول عصمة النبي ' ٢/ ٣٠٠ نقلاً عن الموسوعة الشاملة .

(٤) انظر الأنوار الكاشفة ص١٤٩ .

أولا: لأن شق الصدر أمر حق وممكن، وثابت بالأسانيد الصحيحة المؤكدة للآية الكريمة قال تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١﴾ [سورة الشرح: ١]

والصلب أمر باطل، وفيه مخالفة للعقل والنقل، وقد نفاه القرآن نفيا باتا، قال تعالى: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ۝١٥٧﴾ [سورة النساء: ١٥٧].

ثانيا: شق صدر رسول الله ﷺ لم يؤلمه البتة على ما زعمه أعداء السنة والسيرة[٢] وإنما شق صدره الشريف على ما جاء في الحديث: "أخذ كل واحد من الملكين بعضده، ولا يجد ﷺ لأحدهما مسا، واضجعاه بلا قصر ولا حصر، وهوى أحدهما إلى صدره الشريف ففلقها، ورسول الله ﷺ لا يرى دما، ولا وجعا"[٣] وهذا كله بخلاف الصلب!.

ثالثا: شق صدره ﷺ على ما جاء في الروايات الصحيحة ليس لتكفير ذنبه ولا ذنب غيره، وهذا بخلاف خرافة صلب المسيح!

الخلاصة:

حادثة شق صدر النبي ﷺ معجزة من المعجزات التي اختص الله بها نبيه ﷺ، كما أيد غيره من الرسل والأنبياء بالمعجزات الدالة على قدرته، والعقل في حكمه على الأشياء بالاستحالة والجواز لا يفرق بين زمان وزمان، ولا بين مكان ومكان كما لا يفرق بين نبي ونبي.

ولقد نقلت إلينا حادثة شق الصدر بطرق صحيحة لا سبيل لإنكارها، وهي من أدلة صدق نبوته ﷺ لأنها من تمام الرعاية الإلهية منذ صغره، وذلك لإعداده ﷺ للنبوة وتلقي الوحي من السماء.

وكانت هذه الحادثة مظهراً من مظاهر العناية الإلهية بالنبي ﷺوذلك باستخراج حظ الشيطان من قلبه ﷺ ثم وضع الرأفة والرحمة في قلبه، وغسله ليزداد طهارة على طهارته، وإيمانـًا على إيمانه، ويسمو إلى درجة لم يصل إليها أحد من البشر من الحكمة، والرحمة، والإيمان.

---

(٢) أضواء على السنة المحمدية أبو رية ص١٨٧ ، سيرة النبي الأعظم لجعفر العاملي ٢ / ٨٧ .

(٣) سبق تخريجه مفصلاً في الرد الأول للشبهة .



ويمكن لنا أن نجمل تلك الحكم من وراء هذا الحادث مما يعضد أهميته ويبرهن بشكل واضح على ثبوته:

١- تطهير قلبه، وخلوص نيته، وتصفية ميوله، إذ ليس النبي محمد ﷺكغيره من الصبية، بل له من الشأن ما اقتضى أن يخرج عن جملة ما درج عليه سواه؛ ولما كان الأمر كذلك جاء شق صدره ﷺ.

ولقد سئل شيخ الإسلام أبو الحسن السبكي عن العلقة السوداء التي أخرجت من قلبه ﷺ حين شُقَّ وقول الملك: هذا حظ الشيطان منك: فأجاب بأن تلك العلقة خلقها الله تعالى في قلوب البشر قابلة لما يلقيه الشيطان فيها، فأزيلت من قلبه ﷺ فلم يبق فيه مكان لأن يلقي الشيطان فيه شيئًا. هذا معنى الحديث، ولم يكن للشيطان فيه حظ، وأما الذي نفاه الملك فهو أمر في الجبلة(٢) البشرية، فأزيل القابل الذي لم يكن يلزم من حصوله حصول القذف في القلب(٣).

وهناك معنى آخر: وهو أن قلب سيدنا محمد ﷺ مملوء بالرحمة، بل هو منبعها وأصلها، كما قال ﷻ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ [سورة الأنبياء: ١٠٧] وهذه الرحمة شاملة كاملة؛ لأنها رحمة الله التي وسعت كل شيء، ولكن الله ﷻ أخرج الشيطان وأعوانه، وإخوانه، ومن قدر عليه الشقاء من هذه الرحمة، فلا نصيب لهم فيها، ولا شيء لهم منها، ويكون المعنى حينئذ أنهم أخرجوا من قلبه الشريف حظ الشيطان من رحمته، فلا حظ للشيطان في هذه الرحمة(٤).

٢- الابتلاء بوصفه سنة من سنن الأنبياء فشق الصدر له ﷺ وصبره عليه من جنس ما ابتلى الله تعالى به الذبيح وصبر عليه. فقد وقع له هذا الابتلاء وهو صغير يتيم عن أهله ﷺ. (٥)

---

(٢) أي الطبيعة .

(٣) محمد ' الإنسان الكامل لمحمد بن علوي المالكي الحسيني ص٣١ . ط دار الشروق جدة .

(٤) انظر محمد' الإنسان الكامل ص٣٢ وما بعدها.

(٥) انظر المرجع السابق .

٣ – تهيئته ﷺ لما سيناط به من الدعوة، وما تقتضيه من سعة صدر، ونقاء حفيظة، فكأن قلبه ﷺ غســل بالثلج والبرد والماء الممتلئ حكمة وإيمانـًا؛ ليعرف قلبه طيب الجنة ويجد حلاوتها، فيكون في الدنيا أزهد، وعلى دعوة الخلق إلى الجنة أحرص؛ ولأنه كان له أعداء يتقولون عليه، فأراد الله تعالى أن ينفي عنه طبع البشرية من ضيق الصدر وسوء مقالات الأعداء، فغسل قلبه غير مرة، ليورث ذلك صــدره سـعة ويفارقه الضـيق. كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [سورة الحجر: ٩٧]

فغسـل قلبه غير مرة فصـار بحيث إذا أوذي بشـج رأسـه ﷺ أو كسـر رباعيته – كما في يوم أحد – يقول " رب اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون "[٢].

٤ – في زهد النبي ﷺ وعزوفه عن ملذات الشـباب ونزواته ما يبرهن على خلوصـه من الشـيطان وإغوائه. فإن المتأمل المنصـف لأخلاق النبي ﷺ قبل بعثته، والواقف على تصـرفاته؛ ليدرك بما لا يدع مجالاً لتشكيك شـاك ولا لإنكار منكر أن هذا الشـاب غير أقرانه، من حسـن خلقه وعزوفه عن الشــهوات، ولعل في تلك الحقيقة ما يؤكد ضــمنيـًا ثبوت شــيء غير عادي لذاك الشــاب، وأسرع ما يتبادر للذهن في تفسير أخلاقه تلك وزهده ذاك هو حادث شق الصدر. فحياته ﷺ حياة زكية طاهرة من الآثام التي تدنس الشـباب في مجتمعاتهم، بعيدة عن الشـرك، فهذا كله دليل على حفظ الله له ورعايته منذ صـغره، وأن الحكمة من شـق صـدره كانت لإخراج حظ الشـيطان منه، وذلك لتهيئته للنبوة، وعصمته من الآثام [٣].

(٢) أخرجه البخاري في صـحيحه، كاب: الديات، باب: إذا عرض الذمي بسـب النبي ' ولم يصـرح ح ٦٥٣٠، ومسلم في صحيحه، كتاب: الجهاد والسير، باب: غزوة أحد ح ٤٧٤٧ واللفظ له.

(٣) انظر الرسول ' د. عبدالحليم محمود ص٥٣-٥٤ بتصرف.



ثانياً: الشبهات المثارة حول انشقاق القمر عرض ونقد:

قال الله تعالى: {اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ} [القمر: ١].

روى البخاري عن شَيْبَان، عن قَتَادَةَ، عن أنس بن مالك قال: «إنَّ أهلَ مَكَةَ سَألُوا نبِيَّ اللَّهِ ـ صلى اللّه عليه وسلم ـ أن يُرِيَهُم آيَةً، فَأراهُم انشِقَاقَ القَمَرِ مَرَّتَيْن»[٢].

فانشــقاق القمر أولى المعجزات الحســية وانشــقاق القمر من المعجزات الكونية التي ينكرها ملحدو عصرنا تبعًا لسادتهم المستشرقين والمبشرين، وتكذيبـًا للأثبات الصادقين، من هذه الأمة التي هي خير أمة أخرجت للناس. قال الحافظ ابن كثير في التفسير[٣] "قد كان هذا في زمان رسول الله – صـلى الله عليه وسـلم –، كما ورد ذلك في الأحاديث المتواترة بالأسـانيد الصـحيحة. وقد ثبت في الصــحيح عن ابن مســعود أنه قال: خمس قد مضــين: الروم والدخان واللزام والبطشــة والقمر[٤].. وهذا أمر متفق عليه بين العلماء: أن انشــقاق القمر قد وقع في زمان النبي–صــلي الله عليه وسـلم–، وأنه كان إحدى المعجزات الباهرات". وقد أجمع المسـلمون على وقوع ذلك في زمنه عليه الصـلاة والسـلام، وجاءت بذلك الأحاديث المتواترة من طرق متعددة تفيد القطع عند من أحاط بها، ونظر فيها. ولقد بنى المنكرون إنكارهم على عدة أسـباب أسـوقها ثم أقوم بالرد

---

(٢) أخرجه البخاري في صـحيحه ، كتاب: المناقب ، باب: سـؤال المشـركين أن يريهم آية فأراهم انشـقاق القمر ٢/ ٨٦٩ ح ٣٦٣٧ عن أنس بن مالك ، وح ٣٦٣٦ عن عبدالله بن مسـعود ، وح ٣٦٣٨ عن ابن عباس . وسـيأتي تخريج الحديث مفصلاً بجميع طرقه عند الرد على الشبهة .

(٣) ٨ / ١٢٧ .

(٤) أخرجه مسـلم في صـحيحه ، كتاب: صـفة القيامة والجنة والنار ، باب: انشـقاق القمر ٤/ ٢١٥٧ ح ٦١٥٤ وسيأتي تخريج الحديث مفصـلاً بجميع طرقه والحكم عليه عند الرد على الشـبهة .والبطشـة المراد بها يوم بدر ، والدخان : ان قريشـاً لما استعصت على النبي ' دعا عليهم بسنين سني يوسف . فأصابهم قحط وجهد حتى جعل الرجل ينظر إلى السماء فيرى بينه وبينها كهيئة الدخان (فتح المنعم شرح صحيح مسلم ١٠/ ٤٠٤، ٤٠٥)

عليها:

١ – لم يرو هذه المعجزة عدد كبير من الصحابة، وقيل (انفرد بها ابن مسعود).

٢ – عدم مطابقة هذا الانشقاق مع الحقائق العلمية في هذا العصر.

٣- لم يذكر انشقاق القمر في أي مرجع تاريخي سوى الإسلامي منها.

٤ – إن ظاهرة على هذا المستوى الكوني كانت ستلاحظ من كل الشعوب الحاضرة في ذلك الزمن، واشترك أهل الأرض في معرفته، ولما اختص به أهل مكة؟.

٥- الشقوق الموجودة في القمر لا تدور حول القمر كله كما من المفروض أن يحدث عند انشقاق أي جسم كروي، بل إنها تغطي فقط ٢٪ من محيط القمر.

٦ -- يقولون أن هناك شقوق على المريخ أضعاف أضعاف شقوق القمر فلماذا لم يذكر القرآن الكريم أيضًا شقوق المريخ؟، ولماذا لم تتشابه شقوق المريخ بشقوق القمر من حيث الشكل والطول والعرض؟

٧ – وَقَدْ زَعَمَ بَعْضُ مَنْ يَدَّعِي التَّأْوِيلَ وَيَسْتَعْمِلُ رَأْيَهُ فِيهِ، وَيَقْتَصِرُ عَلَى ذَلِكَ وَيَتْرُكُ ذِكْرَ مَا كَانَ عَلَيْهِ مَنْ قَبْلَهُ فِيهِ مِنْ صَحَابَةِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمِنْ تَابِعِيهِمْ أَنَّهُ لَمْ يَنْشَقَّ وَأَنَّهُ إِنَّمَا يَنْشَقُّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَنَّ مَعْنَى قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: {وَانْشَقَّ الْقَمَرُ} [القمر: ١] إِنَّمَا هُوَ عَلَى صِلَةٍ قَدْ ذُكِرَتْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي السُّورَةِ الْمَذْكُورُ ذَلِكَ فِيهَا، وَهِيَ قَوْلُهُ تَعَالَى [ص: ١٨٣]: {يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُكُرٍ} [القمر: ٦] أَيْ فَيَنْشَقُّ الْقَمَرُ حِينَئِذٍ، وَجَعَلَ ذَلِكَ مِنَ الْأَشْيَاءِ الَّتِي تَكُونُ فِي الْقِيَامَةِ

الرد على الشبهة:

كان من أوضح دلائل صدق نبوة سيدنا محمد ﷺ، معجزة انشقاق القمر، وهذه المعجزة تتمتع أكثر من غيرها بثبوت قوي حيث براهينها ساطعة. وأدلتها ناصعة؛ فقد نص القرآن نصًا صريحًا

على هذه المعجزات بالذات. قال تعالى: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ ۝١﴾ [سورة القمر: ١]

وإلى جانب ذلك روى الأحاديث الدالة عليها إمام المحدثين، وأكثرهم اعتناء بالتصحيح ودقة فيه وهو الإمام البخاري، ووافقه الإمام مسلم عليها، وكذلك رواها بقية أهل السنن والإمام أحمد. ولما كان من المنكرين لهذه المعجزة يهود ونصارى وملحدين لا يعترفون بالقرآن ولا بالسنة الصحيحة فقد استشهدت أيضًا بالأدلة العلمية لتوافق نظرتهم المادية البعيدة عن الإيمان، وأيضًا بالأدلة التاريخية.



الرد على الشبهة الأولى: من قال بأن هذه المعجزة لم يروها إلا ابن مسعود:

أولاً " نص حديث انشقاق القمر ورواياته والحكم عليه:

روى هذه المعجزة من الصحابة ابن مسعود، وابن عمر، وجبير ابن مطعم، وأنس بن مالك، وعبد الله بن عباس، وعلي بن أبي طالب، وحذيفة بن اليمان -- رضي الله عنهم أجمعين --

ـ الرواية الأولى: رواية عبدالله بن مسعود رويت من خمسة عشرة وجهاً:

وأخرجها: البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وابن حبان والبيهقي والطبراني والبزار وابن جرير والطحاوي.

الوجه الأول:

حديث صدقة بن الفضيل قال أخبرنا ابن عيينة عن ابن أبي نجيح عن مجاهد عن أبي معمر عن ابن مسعود قال: " انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ شِقتين فقال: " اشهدوا "(٢).

---

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: المناقب، باب: سؤال المشركين ٢ / ٧٦٩ ح ٣٦٣٦، ومسلم في صحيحه، كتاب: صفات المنافقين وأحكامهم، باب: انشقاق القمر ٤/ ٢١٥٨ ح ٢٨٠٠ (٢٤).

الوجه الثاني:

حديث مســـدد عن يحيى عن شـــعبة وســـفيان عن الأعمش عن إبراهيم عن أبي معمر عن ابن مسعو(٢) باللفظ السابق.

الوجه الثالث:

حديث علي بن عبدالله قال حدثنا سفيان أخبرنا ابن أبي نجيح...... به (٣).

الوجه الرابع:

حديث أبو بكر بن أبي شـــيبة وأبو كريب وإســـحاق بن إبراهيم جميعـًا عن أبي معاوية عن الأعمش.. به ولفظه " بينما نحن مع رســول الله ﷺ إذا انفلق القمر فلقتين. فكانت فلقة وراء الجبل، وفلقة دونه فقال لنا رسول الله ﷺ " اشهدوا " (٤)

الوجه الخامس:

حديث عبيد الله بن معاذ العنبري قال حدثنا أبي عن الأعمش عن إبراهيم... به باللفظ السابق (٥).

الوجه السادس:

حديث علي بن حجر قال حدثنا علي بن مسـهر عن الأعمش... به وفيه قال ابن مسـعود: " بينما نحن مع رسول الله ﷺ بمنى فانشق القمر " (٦)،

الوجه السابع:

---

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب: التفسير ، باب: سورة (اقتربت الساعة) أو القمر ٣ / ٢٢٣ ح ٤٨٦٤

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه الكتاب والباب السابق ح ٤٨٦٥ .والبيهقي في دلائل النبوة ٢ / ٢٦٥، ٢٦٦ .

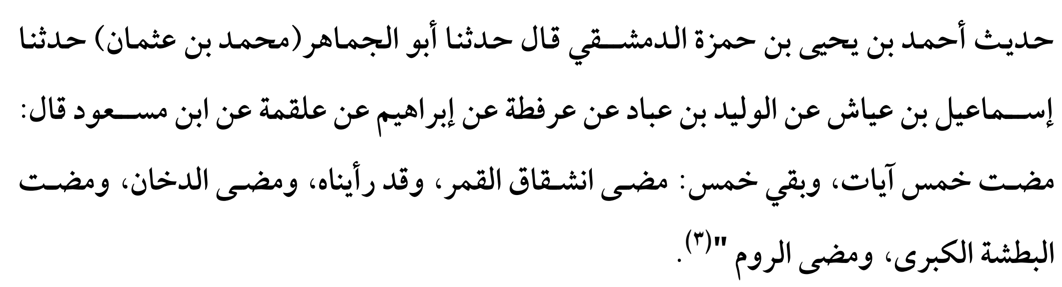
(٤) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب: صفات المنافقين وأحكامهم ، باب: انشقاق القمر ٤ / ٢١٥٨ ح (٤٥) .

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه الكتاب والباب السابق ح ٢٨٠٠ .

(٦) أخرجه الترمذي في سننه ، كتاب: التفسير ، باب: سورة القمر ٥/ ١٨٧، ١٨٨ ح ٣٢٩٦ . قال أبو عيسى : حسن صحيح .

حديث أسباط بن نصر عن منصور عن أبي الضحى عن مسروق عن ابن مسعود قال: انشق القمر بمكة حتى صار فرقتين فقال كفار أهل مكة هذا سحر سحركم به ابن أبي كبشة انظروا السفار فإن كانوا رأوا ما رأيتم فقد صدق، وإن كانوا لم يروا ما رأيتم فهو سحر سحركم به قال: فسئل السُفار وقدموا من كل وجه فقالوا: رأينا "[٢]





الوجه الثامن:

حديث أحمد بن يحيى بن حمزة الدمشقي قال حدثنا أبو الجماهر(محمد بن عثمان) حدثنا إسماعيل بن عياش عن الوليد بن عباد عن عرفطة عن إبراهيم عن علقمة عن ابن مسعود قال: مضت خمس آيات، وبقي خمس: مضى انشقاق القمر، وقد رأيناه، ومضى الدخان، ومضت البطشة الكبرى، ومضى الروم "[٣].

الوجه التاسع:

حديث أبو خليفة عن مسدد عن أبي معاوية عن الأعمش عن إبراهيم.. به [٤].

---

(٢) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى ٣/ ٤٩٢ ، والبيهقي في الاعتقاد ص٢٦٩ من طريق هشيم عن المغيرة عن أبي الضحى ..به .وإسناد هذا الوجه حسن لذاته فيه أسباط بن نصر الهمداني أبو يوسف قال فيه البخاري : صدوق ، وقال موسى بن هارون : لم يكن به بأس ، وقال ابن مغين : ليس بشيء ، وقال مرة ثقة ، وقال حرب: قلت لأحمد كيف حديثه؟ قال: ما أدري وكأنه ضعفه وخلاصة حاله : صدوق (تهذيب التهذيب ١/ ١٣٧ التاريخ الأوسط للبخاري ١/ ١٧) وباقي رجاله ثقات ومتنه صحيح متفق عليه .

(٣) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير : ١٠ / ٨٩ ح ٩٩٩٦ ، والطبراني في الأوسط ١ / ١٧ . وإسناد هذا الوجه ضعيف فيه : إسماعيل بن عياش بن سلم العنبسي خلاصة حاله : صدوق في روايته عن أهل بلده الشام مخلط في غيرهم (سير أعلام النبلاء ٨/ ٣١٢، تهذيب التهذيب ١/ ٢٠٤) والوليد بن عباد : قال الذهبي شيخ ، وقال ابن عدي ليس بمستقيم الحديث ولا بالمعروف لم يرو عنه سوى إسماعيل بن عياش (التكميل في الجرح والتعديل ٢/ ٩٦ ، ميزان الاعتدال ٤/ ٣٤٠، ديوان الضعفاء والمتروكين للذهبي ١/ ٤٢٦).و عرفطة بن أبي الحارث ذكره ابن حبان في الثقات ، وقال ابن أبي حاتم مجهول ،(الجرح والتعديل ٧/ ٤٢ الثقات ٧/ ٣٠٦،٣٠٧) ومتنه صحيح متفق عليه .

(٤) أخرجه ابن حبان في صحيحه ، باب : ذكر انشقاق القمر للمصطفى ' لنفي الريب عن خلد المشركين ٥ / ٣٣

الوجه العاشر:

حديث أحمد بن محمد بن أحمد بن عبدالله بن عمر الواسـطي الجواربي أبو عبدالله قال حدثنا عبيد الله بن معاذ العنبري عن أبيه عن شعبة عن الأعمش.. به[٢] بلفظ رواية الوجه الرابع.

الوجه الحادي عشر:

حديث يوسف بن موسى قال: نا محمد بن عبيد الطنافسي، قال: نا فطر عن مسلم بن صبيح عن مسروق قال: سمعت ابن مسعود يقول: " خمس قد مضين: انشقاق القمر و(ألم غلبت الروم) و(يوم تأتي السماء بدخان مبين) و(يوم تبطش البطشة الكبرى) ويوم بدر "[٣].

الوجه الثالث عشر:

حديث أحمد بن داود قال حدثنا محمد بن يحيى بن أبي عمر عن سـفيان... به [٤] بلفظ الوجه

ح ٦٤٩٥ .

(٢) أخرجه الطحاوي في شرح مشكل الآثار ٢ / ١٧٨، ١٧٩ ح ٦٩٩ . وإسناده ضعيف فيه أحمد بن محمد بن عبد الله بن عمر الواسـطي مجهول الحال (الأسـامي والكنى٢/ ٢٣٦، والأنسـاب ٢/ ١٠٢)،وباقي رواته ثقات عبيد الله بن معاذ بن معاذ بن نصـر بن حسـان العنبري ثقة (سـير أعلام النبلاء ١١/ ٣٨٤ ، والجرح والتعديل ٥/ ٣٣٥، وتـذكرة الحفاظ ٢/ ٤٩٠) وأبوه : معاذ بن معاذ العنبري قال أبو حاتم حافظ (الجرح والتعديل ٣/ ١٤١) وشعبة بن الحجاج بن الورد العتكي الأزدي أمير المؤمنين في الحديث (سير أعلام النبلاء ٧/ ٢٠٢) والأعمش بن مهران الكاهلي شـيخ المحدثين (سـير الأعلام ٦/ ٢٢٦، والجرح والتعديل ٤/ ١٤٦) وهو مدار الرواية . ومتنه صحيح أخرجه مسلم في الوجه الرابع .

(٣) أخرجه البزار في البحر الزخار ٥ / ٣٤١ .وإسـناد هذا الوجه حسـن لذاته فيه فطر وهو ابن خليفة القرشـي المخزومي صـدوق رمي بالتشـيع ، وقال الذهبي الشـيخ العالم المحدث الصـدوق (انظر الجرح والتعديل ٧/ ٩٠،وسـير أعلام النبلاء ٧/ ٣٠) وباقي رجاله ثقات يوسـف بن موسـى بن راشـد الكوفي ثقة (سـير الأعلام ١٢/ ٢٢١)ومحمد بن عبيد الطنافسـي أبو عبدالله الكوفي ثقة (الجرح والتعديل ٣/ ٥٠) ومسـلم بن صـبيح ومسـروق بن الأجدع ثقتان سـبق ترجمتهما في الوجه السـابع ومتنه صـحيح متفق عليه سـبق تخريجه في الأوجه السابقة.

(٤) أخرجه الطحاوي في شرح مشكل الآثار ٢ / ١٧٧ ح٦٩٨ . وإسناد هذا الوجه حسن لذاته فيه يحيى بن أبي

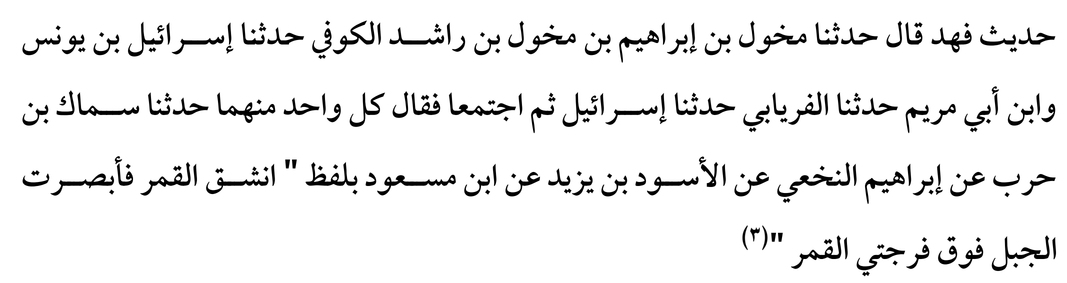


الأول.

الوجه الرابع عشر:

سهل بن بكار عن أبي عوانة عن مغيرة عن أبي الضحى عن مسروق عن ابن مسعود قال " انشق القمر بمكة فقالت قريش هذا سحر سحركم به ابن أبي كبشة "[٢].

الوجه الخامس عشر:



حديث فهد قال حدثنا مخول بن إبراهيم بن مخول بن راشد الكوفي حدثنا إسرائيل بن يونس وابن أبي مريم حدثنا الفريابي حدثنا إسرائيل ثم اجتمعا فقال كل واحد منهما حدثنا سماك بن حرب عن إبراهيم النخعي عن الأسود بن يزيد عن ابن مسعود بلفظ " انشق القمر فأبصرت الجبل فوق فرجتي القمر "[٣]



الرواية الثانية: **رواية أنس بن مالك رويت من سبعة أوجه**:

وأخرجها: البخاري ومسلم والترمذي وأحمد بن حنبل ووأبو يعلى وأبو عوانة والطبراني والبزار.

عمر أبو عبد الله العدني قال الذهبي حافظ، وقال ابن حجر صدوق ، وقال ابن أبي حاتم صدوق (الجرح والتعديل ٨/ ١٢٤، وتهذيب التهذيب ٩/ ٥١٨) وباقي رواته ثقات أحمد بن داود بن نصر ويقال ابن نصير ثقة (تاريخ بغداد ٤/ ١٤١، وتاريخ دمشق ٧١/ ١٠٦) وسفيان الثوري هو مدار الرواية سبق بيانه في الوجه الثاني الذي أخرجه البخاري ومتنه صحيح أخرجه الشيخان .

(٢) المرجع السابق ح ٦٩٧ .وإسناد هذا الوجه صحيح رجاله ثقات فيه سهل بن بكار بن بشر أبو بشر البصري ثقة (التاريخ الكبير ٤/ ١٠٣، وسير الأعلام ١٠/ ٤٢٢) وأبو عوانة الوضاح بن عبدالله الواسطي الإمام الحافظ الثبت (سير الأعلام ٨/ ٢١٧) والمغيرة بن مقسم أبو هشام الضبي الإمام العلامة الثقة (الجرح والتعديل ٨/ ٢٢٨، وسير الأعلام ٦/ ١٠) وأبو الضحى ومسروق ثقتان سبق بيان حالهما في الوجه السابع ومتنه صحيح متفق عليه سبق تخريجه في الأوجه السابقة .

(٣) المرجع السابق ح ٧٠١ . واسناد هذا الوجه ضعيف فيه إبراهيم بن مخول بن راشد الكوفي قال الذهبي : رافضي بغيض وهو صدوق في نفسه (ميزان الاعتدال ٤/ ٨٥، الكامل في الضعفاء ٨/ ١٩٠) ومتنه صحيح سبق بيانه في الأوجه السابقة .



الوجه الأول:

حديث عبدالله بن محمد عن يونس بن شـــيبان عن قتادة عن أنس، وخليفة عن يزيد بن ذريع عن سـعيد عن قتادة عن أنس قال: " أن أهل مكة سـألوا رسـول الله ﷺ أن يريهم آية فأراهم انشـقاق القمر مرتين " (٢)



الوجه الثاني:

حديث زهير بن حرب وعبد بن حميد قالا: حدثنا يونس بن محمد... به باللفظ السابق. (٣)

الوجه الثالث:

حديث محمد بن معمر عن روح عن سعيد... به باللفظ السابق (٤)

الوجه الرابع:

حديث محمد بن المثنى قال حدثنا محمد بن جعفر وأبو داود ح وحدثنا ابن بشار حدثنا يحيى بن

---

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب: المناقب ، باب: سؤال المشركين أن يريهم النبي 'آية فأراهم انشقاق القمر ٢ / ٧٦٩ ح ٣٦٣٧ ، وفي كتاب التفسير ، باب: (اقتربت الساعة) ٣ / ٢٢٣ ح ٤٨٦٧ .وأحمد بن حنبل : ١/ ٤٧٧ ، والبيهقي في الاعتقاد ص٢٦٩ ، وأبو عوانة في البعث كما في اتحاف المهرة ٢ / ١٩٥ من نفس هذا الوجه ، وأبو يعلى الموصلي في مسنده ٥ / ٤٢٤ من طريق شيبان ..به

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب: صفات المنافقين وأحكامهم ، باب: انشقاق القمر ٤ / ٢١٥٩ ح ٢٨٠٢ (٤٦) .

(٤) أخرجه البزار في البحر الزخار ١٣ / ٣٧٧ . وهذا الوجه إسناده حسن لذاته فرجاله رجال البخاري ومسلم في الوجهين السابقين عدا محمد بن معمر بن ربعي القيسي أبو عبد الله البصري المعروف بالبحراني وهو صدوق كما ذكر ابن أبي حاتم ، وقال أبو داود ليس به بأس (تهذيب الكمال ٢٦/ ٤٨٥، والجرح والتعديل ٨/ ٤٥٣) وروح بن عبادة ثقة من كبار المحدثين (الجرح والتعديل ٣/ ٤٩٨، وتهذيب التهذيب ٣/ ٢٩٣) ومتنه صحيح متفق عليه .

سعيد ومحمد بن جعفر وأبو داود كلهم عن شعبة... به باللفظ السابق [٢].

الوجه الخامس:

حديث عبد بن حميد قال حدثنا عبدالرزاق عن معمر عن قتادة... به باللفظ السابق [٣].

الوجه السادس:

حديث أحمد بن يحيى بن حمزة قال حدثنا أبو الجُماهر حدثنا سعيد بن بشير عن قتادة... به باللفظ السابق [٤]



الوجه السابع:

حديث أحمد بن داود قال حدثنا مسدد، حدثنا يحيى بن سعيد عن شعبة... به بلفظ " اقتربت الساعة وانشق القمر " قال: قد انشق. [٥]

---

(٢) مسلم الكتاب والباب السابق ٤/ ٢١٥٩ح (٤٧).

(٣) أخرجه الترمذي في سننه ، كتاب: التفسير ، باب: سورة القمر ٥ / ١٨٨ ح ٣٢٩٧ . قال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح .

(٤) أخرجه الطبراني في الكبير : مسند الشاميين ٤ / ١٠ . وإسناد هذا الوجه حسن لذاته فمداره على قتادة وفيه أحمد بن يحيى بن حمزة أبو عبدالله البتهلي من شيوخ الطبراني المكثرين وهو صدوق (طبقات الحنابلة ١/ ٨٤، وإرشاد القاصي والداني إلى تراجم شيوخ الطبراني)وسعيد بن بشير أبو عبد الرحمن الأزدي قال أبو حاتم محله الصدق ، وقال الحاكم ليس بالقوي، وقال شعبة صدوق اللسان ، وقال ابن عيينة حدثنا وكان حافظًا ، وقال ابن معين والنسائي ضعيف وخلاصة حاله أنه صدوق (الجرح والتعديل ٤/ ٦، وتهذيب التهذيب ٤/ ٨، وميزان الاعتدال ٢/ ١٢٨) ، وأبو الجُماهر محمد بن عثمان التنوخي ثقة (التاريخ الكبير ١/ ١٨١، والكاشف ٣/ ٧٧).

(٥) أخرجه الطحاوي في مشكل الآثار / ١٨٢ ح ٧٠٨ . وإسناد هذا الوجه صحيح فمداره على شعبة وفيه أحمد بن داود ثقة سبق ترجمته في الوجه الثالث عشر من رواية ابن مسعود، ومسدد بن مسرهد بن مسربل الأسدي حافظ حجة (الطبقات الكبرى ابن سعد ٧/ ٣٠٧، وسير الأعلام ١٠/ ٥٩١) ، ويحيى بن سعيد بن أبان الأموي محدث ثقة نبيل (التاريخ الكبير ٨/ ٢٧٧، وسير الأعلام ٩/ ١٣٩) ومتنه صحيح .

ثالثاً: رواية ابن عمر رويت من أربعة أوجه:

وأخرجها: مسلم والترمذي والطحاوي.

الوجه الأول:

حديث عبيد الله بن معاذ عن أبيه عن شعبة عن الأعمش عن مجاهد عن ابن عمر بنحو حديث ابن مسعود (٢)

الوجه الثاني:

حديث بشـر بن خالد أخبرنا محمد بن جعفرح وحدثنا محمد بن بشـار، حدثنا ابن أبي عدي كلاهما عن شعبة... به (٣)

الوجه الثالث:

حديث محمود بن غيلان قال حدثنا أبو داود عن شعبة... به بلفظ " انفلق القمر على عهد رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ " اشهدوا " (٤).

الوجه الرابع:

حديث محمد بن أحمد عن عبيد الله بن معاذ عن أبيه عن شعبة... به (بلفظ الوجهين الأولين) (٥)

رابعاً: رواية ابن عباس ورويت من خمسة أوجه:

وأخرجها: البخاري ومسلم والطحاوي.

---

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: صفات المنافقين وأحكامهم، باب: انشقاق القمر ٤ / ٢١٥٨ ح ٢٨٠١

(٣) مسلم الكتاب والباب السابق .

(٤) أخرجه الترمذي في سـننه، كتاب: التفسـير، باب: سـورة القمر ٥ / ١٨٩ ح ٣٢٩٩ . قال أبو عيسـى: هذا حديث حسن صحيح .

(٥) أخرجه الطحاوي في شـرح مشـكل الآثار: ٢ / ١٧٩ ح ٧٠٠ . وإسـناد هذا الوجه صـحيح مداره على شـعبة وهو نفس إسناد الإمام مسلم في الوجه الأول عدا محمد بن أحمد لم أقف له على ترجمة فيما تيسر لي من مراجع وله متابع في روايته عن عبيد الله بن معاذ وهو الإمام مسلم .



الوجه الأول:

حديث خلف بن خالد القرشـــي قال حدثنا بكر بن مضـــر عن جعفر بن ربيعة عن عِراك بن مالك عن عبيد الله بن عبد الله بن مسعود عن ابن عباس -- رضي الله عنهما -- أن القمر انشق في زمن النبي ﷺ [٢].

الوجه الثاني:

حديث يحيى بن بكير قال حدثني بكر(هو ابن مضر) عن جعفر... به [٣].

الوجه الثالث:

حديث موسى بن قريش التميمي قال: حدثنا إسحاق بن بكر بن مضر عن أبيه... به[٤] بنحو لفظ البخاري.

الوجه الرابع:

حديث أبو قرة محمد بن حميد الرُّعينيُّ وفهد قالا: حدثنا يحيى بن بكير... به [٥]بنحو لفظ البخاري.

الوجه الخامس:

حديث ابن أبي داود عن سعيد بن أبي مريم قال حدثنا بكر وابن لهيعة عن جعفر... به [٦]

---

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: المناقب ، باب: سؤال المشركين أن يريهم النبي ' آية فأراهم انشقاق القمر ٢ / ٧٦٩ ح ٣٦٣٨ .

(٣) أخرجه البخاري ، كتاب: التفسير ، باب: سورة (اقتربت الساعة) أو القمر ٣ / ٢٢٣ ح ٤٨٦٦ .

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: صفات المنافقين وأحكامهم، باب: انشقاق القمر ٤ / ٢١٥٩ ح ٢٨٠٣ (٤٨) .

(٥) أخرجه الطحاوي في مشكل الآثار ٢ / ١٨٠ ح ٧٠٤ . هذا الوجه إسناده صحيح فمداره على يحيى بن بكير وهو نفس إسناد البخاري في الوجه الثاني عدا شيخا الطحاوي أبو قرة محمد بن حميد الرعيني وفهد لم أقف لهما على ترجمة ولهما متابع وهو الإمام البخاري نفسه فقد روى عن يحيى بن بكير ومتنه صحيح أخرجه الشيخان .

(٦) المرجع السابق ح ٧٠٥ . وإسناد هذا الوجه صحيح فمداره على جعفر بن ربيعة ورواته ثقات عدا عبد الله ابن لهيعة صدوق اختلط بعد احتراق كتبه (التاريخ الكبير ٥/ ١٨٢، الكاشف ٢/ ١٢٢، تهذيب التهذيب

خامساً: رواية جبير بن مطعم رويت من أربعة أوجه:

وأخرجها الترمذي، وأحمد بن حنبل، وابن حبان والبيهقي.

الوجه الأول:

حديث عبد بن حميد قال: حدثنا محمد بن كثير، حدثنا سليمان بن كثير عن حصين عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه. بلفظ " انشق القمر على عهد رسول الله ﷺحتى صار فرقتين على هذا الجبل وعلى هذا الجبل فقالوا: سحرنا محمد فقال بعضهم: لئن سحرنا فما يستطيع أن يسحر الناس كلهم "(٢).

الوجه الثاني:

حديث محمد بن كثير قال: حدثنا سليمان بن كثير عن حصين بن عبد الرحمن (هو الأسلمي) عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه باللفظ السابق (٣)

الوجه الثالث:

حديث محمد بن زهير أبو يعلى قال حدثنا عبد الله بن سعيد الكندي، حدثنا فضيل عن حصين...

٥/ ٣٧٣) وقد تابعه وروى معه في نفس الإسناد بكر بن مضر وهو ثقة من رواة البخاري في الوجه الأول، ومتنه صحيح أخرجه الشيخان.

(٢) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب: التفسير، باب: تابع ٥٤، ٥ / ١٨٩ ح ٣٣٠٠. قال أبو عيسى وقد روى بعضهم هذا الحديث عن حصين عن جبير بن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه عن جده جبير بن مطعم نحوه .وإسناده صحيح.

(٣) أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده: ١٣ / ١٤٣ ح ١٦٦٩٥. وإسناده صحيح، ومحمد بن كثير العبدي وأخوه سليمان موثقان أخطأ من ضعفهما فقد وثق الأول ابن معين وابن حبان وصدقه أبو حاتم (تهذيب التهذيب ٥/ ٢٦٧) وأما الثاني فقد رضيه أبو حاتم وأبو داود -في غير الزهري -وضعفه ابن معين في رواية فقط وفي روايتين قال: لا بأس به .وقال النسائي: ليس به بأس إلا في الزهري فإنه يخطئ عليه (تهذيب التهذيب ٢ / ٤١٩) .وحصين بن عبد الرحمن السلمي ثقة (تهذيب التهذيب ١/ ٥٤٧، الجرح والتعديل ٣/ ١٩٣ والتاريخ الكبير ٣/ ٧،٨).



به [٢]

الوجه الرابع:

حديث أبو الحسين علي بن محمد قال: حدثنا يوسف بن يعقوب، قال حدثني إسحاق بن بهلول الأنباري قال حدثنا أبي عن ورقاء عن حصين عن ابن جبير... به وفيه أنه قال في قول الله عز وجل (وانشق القمر) قال: انشق ونحن بمكة. [٣]

سادساً: **رواية علي بن أبي طالب رويت من وجه واحد**:

عن علي بن عبد الرحمن بن محمد بن المغيرة المخزومي الكوفي قال: حدثنا لُوين حدثنا حديج بن معاوية الجعفي عن أبي إسحاق عن أبي حذيفة قال أبو جعفر وهو سلمة بن صهيب الأرحبي عن علي بن أبي طالب ولفظه: " انشق القمر ونحن مع رسول الله عليه السلام ". [٤]

---

(٢) أخرجه ابن حبان في صحيحه ٣/ ١٦ ح ٦٤٩٧ ، وفي موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان ٧ / ٦ ، وفي صحيح موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان ٢/ ٣١١ ح ١٧٦٦ وقال: صحيح الإسناد ومتواتر عن جمع من الصحابة ، وقال شعيب الأرنؤوط : إسناده صحيح على شرط الشيخين .

(٣) أخرجه البيهقي في الدلائل ٢/ ٢٦٨ ، وفي الاعتقاد ص٢٦٩ ، وفي شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ٤/ ٨٧٧ ح ١٤٦٨ . وإسناد هذا الوجه ضعيف فمداره على حصين بن عبد الرحمن الأسلمي وفيه بهلول بن حسان بن سنان الأنباري مجهول الحال (تاريخ بغداد ٧/ ٦٠٤، والطبقات السنية في تراجم الحنفية ١/ ١٩٧) ولم يتابع ، يوسف بن يعقوب الأزرق التنوخي ، لم يذكر بجرح ولا تعديل قال فيه أبو القاسم التنوخي : كان كاتبًا جليلاً متصرفًا متخشنًا أماراً بالمعروف (تاريخ الإسلام ٧/ ٥٨٤) وباقي رجاله ثقات.

(٤) أخرجه الطحاوي في شرح مشكل الآثار ٢/ ١٧٧ ح ٦٩٦ . وإسناد هذا الحديث ضعيف فيه حديج بن معاوية بن حديج بن الرحيل بن زهير بن خيثمة الجعفي الكوفي قال أبو حاتم محله الصدق ، وقال ابن حجر : صدوق يخطئ ، وقال البخاري يتكلمون في بعض حديثه ، وقال النسائي : ليس بالقوي ، وقال ابن سعد: كان ضعيفًا في الحديث ،وقال ابن معين: ليس بشيء وخلاصة حاله : ضعيف (ميزان الاعتدال١/ ٤٦٧، والطبقات الكبرى ٦/ ٣٧٧، والكامل في الضعفاء ٣/ ٣٥٦ ، وديوان الضعفاء ١/ ٧٤) وباقي رجاله ثقات ،علي بن عبد الرحمن هو ابن محمد بن المغيرة المخزومي إمام حافظ متقن (تهذيب التهذيب ٧/ ٣٦٠، وتذهيب التهذيب ٣/ ٧٠) ، ولوين هو: أبو جعفر محمد بن سليمان الحافظ الصدوق الثقة (الجرح والتعديل ٧/ ٢٦٨، وتهذيب التهذيب

الرواية السابعة: رواية حذيفة بن اليمان رويت من وجهين:

الوجه الأول:

حديث أحمد بن داود قال: حدثنا هدبة بن خالد حدثنا همام بن يحيى عن عطاء بن السائب عن أبي عبد الرحمن السُّلميِّ قال: انطلقت مع أبي إلى الجمعة بالمدائن وبيننا وبينها فرسخ وحذيفة على المدائن فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: " اقتربت الساعة وانشق القمر " ألا وإن الساعة قد اقتربت، ألا وإن القمر قد انشق. (٢)

الوجه الثاني:

حديث فهد قال حدثنا محمد بن سعيد الأصبهاني حدثنا شريك بن عبد الله النخعي عن عطاء بن السائب... به (٣).

٩/ ١٩٨) وأبو إسحاق السبيعي : هو عمرو بن عبد الله بن عبيد الهمداني الكوفي ثقة مكثر عابد اختلط بآخره (الجرح والتعديل ٦/ ٢٤٢، وتهذيب التهذيب ٣/ ١٠٣) وأبو حذيفة هو: سلمة بن صهيب ثقة (إكمال تهذيب الكمال ٦/ ١٥، وموسوعة أقوال الإمام أحمد ٢/ ٨٠) ومتنه صحيح لوجود شواهد صحيحة كثيرة عن ابن مسعود وأنس بن مالك وابن عباس وجبير بن مطعم سبق تخريجها تخريجًا مفصلاً .

(٢) أخرجه الطحاوي في مشكل الآثار ٢/ ١٨١ ح ٧٠٦ . وهذا الوجه صحيح سنداً ومتنًا فرجاله ثقات فيه أحمد بن داود ثقة سبق ترجمته في الوجه الثالث عشر من رواية ابن مسعود ، وهدبة: هو ابن خالد بن أسود بن هدبة القيسي ثقة احتج به الشيخان (الجرح والتعديل ٩/ ١١٤، وتهذيب التهذيب ١١/ ٢٤،٢٥) وهمام بن يحيى بن دينار العوذي المحملي الإمام الحافظ الصدوق الحجة (التاريخ الكبير ٨/ ٢٣٧، والجرح والتعديل ٩/ ١٠٧) ، وعطاء بن السائب: الثقفي الإمام الحافظ محدث الكوفة (سير أعلام النبلاء ٩/ ١١٠، الجرح والتعديل ٦/ ٣٣٢، وتهذيب التهذيب ٧/ ٢٠٣).

(٣) المرجع السابق ح ٧٠٧ . وإسناد هذا الوجه ضعيف فيه محمد بن سعيد الأصبهاني يقال له حمدان أبو جعفر الكوفي قال البخاري سمع شريكًا وابن المبارك ولم يذكره بجرح ولا تعديل ، وذكره الدارقطني وقال متروك (التاريخ الكبير ١/ ٩٥، وتاريخ بغداد ١٠/ ١٠٨) ومتنه صحيح لوجود شواهد له صحيحة سبق تخريجها .



الحكم على الحديث من جميع طرقه:

الحديث صحيح بلغ حد التواتر[٢] فقد روي من طرق متعددة تفيد القطع

قال ابن كثير في "السيرة النبوية"[٣]: وقد أجمع المسلمون على وقوع ذلك في زمنه عليه الصلاة والسلام، وجاءت بذلك الأحاديث المتواترة من طرق متعددة تفيد القطع عند من أحاط بها، ونظر فيها، ثم ذكر بعض هذه الطرق التي أوردتها هنا، وقال في آخرها: فهذه طرق متعددة قوية الأسانيد، تفيد القطع لمن تأملها، وعرف عدالة رجالها.

ونقل الحافظ في "الفتح"[٤] عن أبي إسحاق الزجاج قوله في "معاني القرآن": أنكر بعض المبتدعة الموافقين لمخالفي الملة انشقاق القمر، ولا إنكار للعقل فيه، لأن القمر مخلوق لله يفعل فيه ما يشاء، كما يكوره يوم البعث ويفنيه،

الرد على الشبهة الثانية:

وهم الذين أنكروا حصول هذا الانشقاق لعدم تطابقه مع الحقائق العلمية في هذا العصر:

أظهرت الدراسات العلمية الحديثة التي أجريت على سطح القمر، أنه يوجد على سطح القمر شبكة عنكبوتية من الصدوع والشقوق والشروخ الغريبة وأنه في فترة لاحقة من الزمن أغرقت الحمم البركانية مناطق منخفضة في الجزء الخارجي لسطح القمر، وقامت بتغطية الشقوق (الصدوع) كما وقد أثبتت الدراسات التي أجراها العلماء على تلك الصدوع والأودية الموجودة على سطح القمر، والتي قامت بها وكالة ناسا الفضائية[٥]: أنها تكونت نتيجة حدوث كسر وشقّ حصل في القمر، وتبين لهم وجود صدوع كبيرة على سطحه، مما يؤيد حصول حادثة انشقاق

---

(٢) المتواتر : هو ما نقله من يحصل العلم بصدقهم ضرورة عن مثلهم من أوله إلى آخره ولذلك يجب العمل به من غير بحث عن رجاله ، ولا يعتبر فيه عدد معين في الأصح (تدريب الراوي ٢/ ١٧٦) .

(٣) ٢/ ١١٤ .

(٤) ٧/ ١٨٥ .

(٥) وكالة ناسا : هي أكبر وكالة عالمية فضائية متخصصة في اكتشافات الفضاء الخارجي .

القمر ويؤكدها علمياً. وهذا هو النص المترجم من اللغة الإنجليزية من موقع وكالة الفضــاء الأمريكية ناسـا: ظهر (أي على سـطح القمر) أن هناك شـبكة عنكبوتية من الصـدوع وأنه في فترة لاحقة أغرقت الحمم مناطق منخفضة في الجزء الخارجي للسطح وغطت الشقوق) (٢).

إذاً فمن الواضح أن ناسا اكتشفت شقوقاً واضحة بالقمر وليست أودية فقط كما يدعون وطبعاً هذه الشــقوق كما يقولون غُطت بالحمم البركانية، أي أن ما ظهر لهم من الشـــق ظهر والباقي مغطى بالحمم فبدت آثار انشقاق القمر بشكل واضح وضوح الشمس في وسط النهار. وذكرت وكالة ناسا أن وجود وصلات اللحام بشكل واضح لا يمكن استبعاده ولا إنكاره

مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية

وكان من بين هذه الشــقوق شــق يبلغ طوله عدة مئات من الكيلو مترات، وشــق يظهر عليه آثار "التحام" فاعتقدوا أن هناك كميات من الحمم المنصـــهرة تدفقت من خلاله وســاهمت بتغليف هذا الشق، وشقّ بطول ١٢٥ كيلو مترًا وعمق ٤٠٠ متراً وعرض ١٥٠٠ متراً.

واعتبر بعض العلماء أن هذه الشقوق معجزة خارقة فوق قدرة البشر،

وقال العلماء إن هذه الشــقوق لا مثيل لها على الأرض لأنها طويلة وغريبة، وهي تناقض النظريات التي نعرفها في الفيزياء. (٣).

فالحاصل هو أن الله شق القمر إلى فصلين ثم أعادهما إلى بعضهما البعض. والجميل في الأمر أن الله – تعالى – أراد أن يبقي هذه الشقوق علامة على أنه قد حدث أمر عظيم أدى إلى حدوث تلك الشقوق وهذه الشقوق العظيمة الغير معروف سببها تقرها ناسا في تقاريرها.

إذاً: من يكرر كلام المستشرقين والملحدين والنصارى والعصرانين ومنكري السنة الذين يقولون أن انشقاق القمر لا يتطابق مع الحقائق العلمية.

---

(٢) رابط وكالة ناسا : **htt://history.nasa.gov/sp-362/ch5.6.htm**

(٣) نقلاً عن الصـحيفة الاتحاد الإماراتية بتاريخ ٢٦ / ٨ / ٢٠١٤ .و انشـقاق القمر وعناد المشـركين ١٤ـــ ٧ـ ٢٠١٤ **www.islamweb.net**





الرد على الشبهة الثالثة:

وهي: أن انشقاق القمر لم يذكر في أي مرجع تاريخي سوى الإسلامي منها.

وهذا الأمر غير صحيح لما ثبت في المراجع الهندوسية المسماه (keralolpatti)) لرواية رؤية انشقاق القمر في بلاد المالابار بالهند وفي نفس زمن حدوثه بمكة أي في مطلع القرن السابع الميلادي وقت حدوث الحادثة، من قبل ملك وشعب تلك البلاد. [٢]

وقد ذكر المؤرخين وجود معبد في الصين كتب عليه (بني عليه عام انشقاق القمر) في تاريخ مقارب للانشقاق فسبحان الله القادر على كل شيء[٣].

- كما سجلت حضارة المايا (maya) [٤] أن هناك انقساماً وقع للقمر.

ففي أحد المواقع التاريخية المتخصصة في حضارة المايا في أمريكا الجنوبية: كان هذا المقال الغريب الذي يؤكد وقوع انشقاق للقمر بالفعل في نفس وقت وجود النبي ﷺ في مكة، وأن أغلب الأمم الموجودة ساعتها رأته بل وقامت بتغيير تقويمها الفلكي بسببه والمقال بعنوان:

The split Moon of the Madrid Codex and Persian Manuscripts

أو: القمر المنشق في وثائقيات مدريد والمخطوطات الفارسية.

وبالطبع عندما كتبوا هذا المقال لم يكن يدور في بالهم أنهم يثبتون بذلك إحدى أشهر معجزات النبي ﷺ ولذلك تم حذف الرابط بعدها وتغيير عنوانه على الموقع ٥٤ مرة وذلك من تاريخ ٣١/ ٨/ ٢٠٠٠م إلى ١٦/ ٧/ ٢٠١٤م مع عدم وجوده الآن أصلاً بعدما اكتشفوا حجم الضجة التي تسبب فيها لصالح المسلمين، وهذا رابط موقع (أرشيف النت) الرائع الذي يسجل نسخاً من صفحات النت https: //www. mayalords. org/restfldr/persia. html

(٢) انظر كتاب تاريخ الإسلام في المالابار .

(٣) وهذا الرابط يؤكد ذلك : **http:wwwmayalords-org /restfldr /Persia.html**

(٤) رابط يهتم بالدراسات الفلكية للحضارات القديمة ومنها حضارة مدريد ومخطوطات فارسية ورابطه :
http: / /www.mayalords_org / /restfldr /Persia.html

جاء في المقال أنه القرن السابع (يعني من ٦٠٠ إلى ٧٠٠) حدث تغيير شامل في التقويم في كل من الصين وبابل وكوبان التي توافق حسابات جانيس

(وكوبان هي إحدى أشــهر مدن حضــارة المايا في العصــر الحديث من ٣٠٠: ٩٠٠م) ويذكر المقال:



-- أن هناك مخطوطة فارسية تتضمن صورة رجل يشير إلى وجه قمر منقسم في السماء وأن نفس الحدث مســجل في مخطوطة مدريد صـفحات ٩١، و٩٢، ٩٣ ومكتوب في هامش المقال اسـم اللوحة: محمد شق القمر [٢].

وهنا يتبادر إلى الذهن سـؤال هل هذا المقال ذكر توقيت ذلك الانشـقاق بالضـبط حتى نتأكد من أنه الانشقاق المقصود؟

وهنا تظهر المفاجأة: نعم

فقد يذهل البعض عندما يجد في أعلى الصـفحة ١٣٩ من منتدى مايا الهيروغليفي في عام ١٩٩٧م بعد ترجمة الرموز والشـرط التي يذكر بها التاريخ أن تاريخ الانشــقاق كان في ٩ فبراير / شــباط ٦٢٣م وهو ما يوافق مكوث النبي ﷺ بالفعل في آخر حياته بمكة قبل الهجرة مباشــرة فقد ولد بمكة عام ٥٧١م وهاجر للمدينة ٦٢٤م وتوفى ٦٣٤م وهو يتماشــى مع نفس التاريخ المذكور بالمقال أي هو نفس التاريخ المتوقع لحدوث واقعة الانشقاق في أواخر سنوات مكوثه بمكة. [٣]

-- أن بعض الأمم تحدثت عنه كأهل مالابار في الهند. وجدير بالذكر هنا أن تاريخ الهند يذكر اتصــالاً بملك الهند وقت وقوع معجزة انشـقاق القمر بالمســلمين في المدينة (واســمه جاكروني فرماس) وقد ذكرت المخطوطات التاريخية الهندية القديمة مشــاهدته لحادثة انشــقاق القمر

---

(٢) انظر هل لانشــقاق القمر شــواهد علمية وتاريخية ؟ الباحثون المســلمون -https://muslims-res.com/html

(٣) انظر المرجع السابق .



ومعاينته لها في تلك الفترة، ومما جاء في تلك المخطوطة على لسان صاحبها: (شاهد ملك ماجيار " مالايار " بالهند (جاكرواني فرماس) انشقاق القمر الذي وقع لمحمد - يعني النبي محمد ﷺ وعلم عند استفساره عن انشقاق القمر بأن هناك نبوءة عن مجيء رسول من جزيرة العرب، وحينها عين ابنه خليفة له، وانطلق لملاقاته)، فالمخطوطة تكشف شهادة موثقة تاريخياً لأحد الملوك الذين عاينوا حادثة انشقاق القمر ورأوها(٢) وقد أرسل للنبي ﷺ هدية جرة فيها زنجبيل فأطعم أصحابه، ولم أجد إلا خبراً واحداً ذكر هذه القصة ذكره الحاكم في المستدرك، وبشكوال في الآثار المروية في الأطعمة

أخرج الحاكم بسنده قال: حدثنا علي بن حمشاذ العدل، ثنا العباس بن الفضل الأسفاطي، ومحمد بن غالب، قالا: ثنا عمرو بن حكام، ثنا شعبة، أخبرني علي بن زيد، قال: سمعت أبا المتوكل، يحدث عن أبي سعيد الخدري، رضي الله عنه قال: أهدى ملك الهند إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جرة فيها زنجبيل فأطعم أصحابه قطعة قطعة وأطعمني منها قطعة (٣).

حديث أَبُو مُحَمَّدِ بْنُ مُحْسِنٍ أنا أَبُو حَفْصٍ الذُّهْلِيُّ أنا ابْنُ نَبَاتٍ أنا ابْنُ عَوْنِ اللهِ أنا خَيْثَمَةُ بْنُ سُلَيْمَانَ قَالَ: نا أَبُو قِلابَةَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مُحَمَّدٍ الرَّقَاشِيُّ قَالَ: نا عَمْرُو بْنُ حَكَّامٍ قَالَ: نا شُعْبَةُ عَنْ عَلِيِّ بْنِ زَيْدٍ عَنْ أَبِي الْمُتَوَكِّلِ النَّاجِيِّ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: أَهْدَى مَلِكُ الرُّومِ إِلَى رَسُولِ

---

(٢) نقلاً عن قسطاس إبراهيم النعيمي" معجزة انشقاق القمر " عن موقع www.jameatalerman.org، والمخطوطة موجودة في مكتبة مكتب دائرة الهند والتي تحمل رقم المرجع عربي ٢٨٠٧،١٥٢ إلى ١٧٣ .

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك : كتاب : الأطعمة ، باب: ذكر إهداء ملك الهند الزنجبيل إلى النبي ، ٥/ ١٨٦ ح ٧٢٧٢ . قال الحاكم رحمه الله تعالى : " لم أخرج من أول هذا الكتاب إلى هنا لعلي بن زيد بن جدعان القرشي رحمه الله تعالى حرفا واحدا ولم أحفظ في أكل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الزنجبيل سواه فخرجته. وإسناده ضعيف فيه علي بن زيد بن جدعان ضعيف قال البخاري وغيره لا يحتج به، وقال أبو زرعة وأبو حاتم ليس بالقوي (التاريخ الكبير ٦/ ٢٧٥، والجرح والتعديل ٦/ ١٨٦، وسير الأعلام ٥/ ٢٠٦).

اللهِ صَـلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَـلَّمَ جَرَّةَ زَنْجَبِيلٍ، فَقَسَّـمَهَا بَيْنَ أَصْـحَابِهِ فَأَعْطَى لِكُلِّ رَجُلٍ قِطْعَةً وَأَعْطَانِي قِطْعَةً. (٢)

إذاً: إن قول المشـككين بمعجزة انشـقاق القمر " بأنه لم تذكر معجزة انشـقاق القمر في أي مرجع تاريخي سوى الإسلامي منها " هو قول غير صحيح وكما بينا سابقـًا أن أكثر من حضارة مختلفة وشــعوب مختلفة وفي بقاع مختلفة تبعد عن مكة المكرمة آلاف الأميال وليس بينها أي اتصــال فكري أو ثقافي قد شاهدت ظاهرة انشقاق القمر كما شاهده كفار مكة وفي زمن انشقاقه، كما إنها قد وثقت ذلك الحدث

الرد على الشبهة الرابعة:

وأما قول بعضــهم: لو وقع، لجاء متواترا، واشــترك أهل الأرض في معرفته، ولما اختص بها أهل مكة. فجوابه:

أن ظاهرة على هذا المستوى الكوني كانت ستلاحظ من كل الشـعوب المتحضـرة في ذلك الزمن وهذا الأمر قد يكون صحيحـًا. ولكي نحصر تلك الشعوب المتحضرة التي قد تكون شاهداً على هذه الظاهرة والمتمثلة بمعجزة انشقاق القمر فلا بد من ذكر الحقائق التالية:

في أصـح الروايات فإن حدث الانشـقاق قد تم في الرابع عشـر أو الخامس عشـر لربيع الثاني (شـهر يناير أو فبراير) والقمر بدراً في السنة الرابعة قبل الهجرة وكان الوقت بعد غروب الشمس ليلاً.

أن مكة المكرمة في فصل الشتاء لا تغطيها الغيوم إلا نادرا، ويأتيها المطر على فترات متباعدة.

أن الدول والشعوب المتحضرة الأساسية والتي من الممكن لها توثيق هذا الحدث المعجز والتي كانت مسيطرة في تلك الفترة هم فارس والروم والصين، والأجزاء الشمالية لحضارة المايا شمال مكة، وبعض أجزاء الهند، وحضارة الانكا والمايا جنوبـًا.

بناء على المعطيات السـابقة، وبما أن حدث الانشـقاق قد تم في بداية الثلث الثاني لفصـل الشـتاء والذي تكون فيه ســماء مكة على الأغلب غير مغطاه بالســحاب، وبالحســاب الفلكي عند هذا

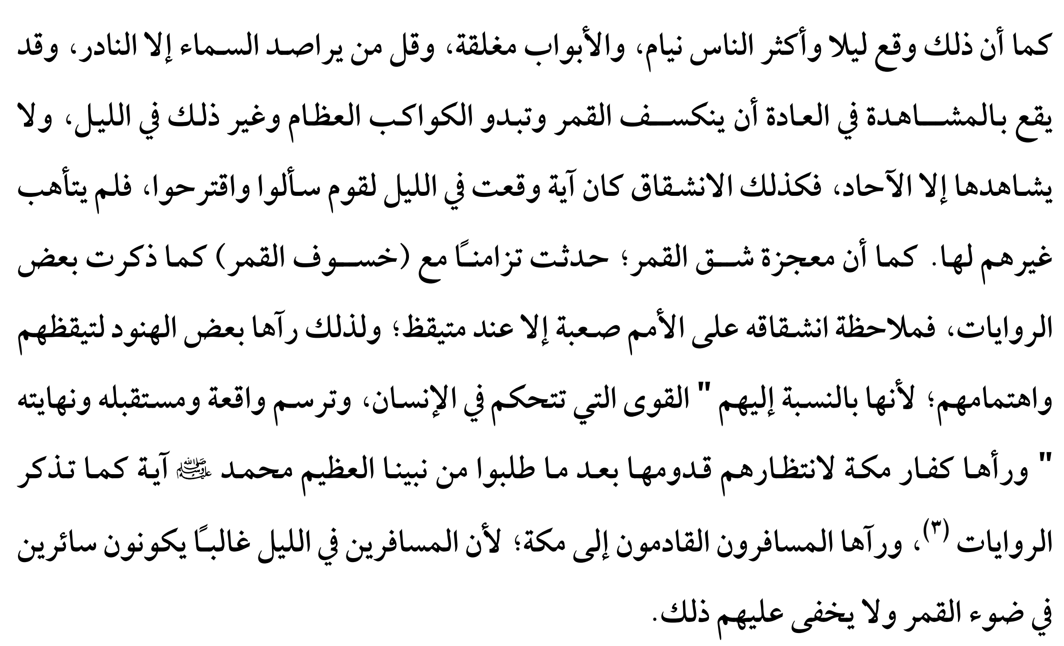
---

(٢) أخرجه ابن بشكوال في : الآثار المروية في الأطعمة السرية ،باب: ما جاء في الزنجبيل ١/ ٢٧٣ ح ١٠٢ .

التاريخ يكون القمر بدراً حوالي الساعة ٠٧ : ٠٥، وعمره ١٤ يومـاً و١٨ ساعة و٣٢ دقيقة، ولهذا سيكون الحجم الظاهري للقمر أصغر من المعتاد بنسبة ٤ ٪ تقريباً من البدر الكامل لو وقع قريباً من الأرض هذا ما سيلاحظه من لا يزال الليل باقياً لديهم والقمر فوق الأفق وكما لوحظ في مكة وجنوب الهند وبلاد فارس. [٢]



كما أن فترة الانشقاق انحصرت في وقت رؤيا حدث المعجزة ولم تتعد على الأغلب بعضاً من ساعة.



كما أن ذلك وقع ليلا وأكثر الناس نيام، والأبواب مغلقة، وقل من يراصد السماء إلا النادر، وقد يقع بالمشاهدة في العادة أن ينكسف القمر وتبدو الكواكب العظام وغير ذلك في الليل، ولا يشاهدها إلا الآحاد، فكذلك الانشقاق كان آية وقعت في الليل لقوم سألوا واقترحوا، فلم يتأهب غيرهم لها. كما أن معجزة شق القمر؛ حدثت تزامناً مع (خسوف القمر) كما ذكرت بعض الروايات، فملاحظة انشقاقه على الأمم صعبة إلا عند متيقظ؛ ولذلك رآها بعض الهنود لتيقظهم واهتمامهم؛ لأنها بالنسبة إليهم " القوى التي تتحكم في الإنسان، وترسم واقعة ومستقبله ونهايته " ورأها كفار مكة لانتظارهم قدومها بعد ما طلبوا من نبينا العظيم محمد ﷺ آية كما تذكر الروايات [٣]، ورآها المسافرون القادمون إلى مكة؛ لأن المسافرين في الليل غالباً يكونون سائرين في ضوء القمر ولا يخفى عليهم ذلك.

الرد على الشبهة الخامسة:

وهي أن هذه الشقوق لا تدور حول القمر كله، ويمكن الرد على ذلك بأننا لو سلمنا جدلاً بأن هذا صحيح فهذا لا يعني بأنه لم ينشقّ كله، فلو رأى أحداً آثر جرح على يد آخر فلا يعني هذا أن أصل الجرح كان صغيراً فالجرح في البداية كان كبيراً، وبعد الالتحام صار صغيراً، وكذلك انشقاق القمر، فإنه لما التحم لم يبق إلا دلالات وإشارات على انشقاقه، ومن ينتظر من المنكرين أن

(٢) انظر ردود علماء المسلمين على شبهات الملحدين والمستشرقين للشيخ محمد ياسين .

(٣) سبق تخريجها في أحاديث هذه الشبه .

يجدوا شق كامل يأخذ القمر من قطره بأكمله فهو جاهل لأن هذا يتطلب: إما أن تحفر ناسا القمر بأكمله إلى أن تخرج من الناحية الأخرى، أو أن تجد فتحة في القمر من الشــرق إلى الغرب وبهذا نبطل قولكم، فهو ليس بحقيقة علمية.

الرد على الشبهة السادسة:



وهي أن هناك شقوق على المريخ أضعاف أضعاف شقوق القمر فلماذا لم يذكر القرآن شقوق المريخ؟ ولماذا لم تتشابه شقوق المريخ بشقوق القمر من حيث الشكل والطول والعرض؟

ويمكن الرد على ذلك بأن: الذي انشــق على عهد النبي ﷺ هو القمر وليس المريخ لذلك فالذي ذكره القرآن هو القمر وليس المريخ. هذا أولاً

ثانياً: إن التركيب والتكوين الجيولوجي لكوكب المريخ يختلف تمام الاختلاف عن التكوين والتركيب الجيولوجي للقمر. أضـف إلى ذلك بعدهما وقربهما من الشـمس وعلاقاتهما الفلكية بالكواكب الأخرى. [(٢)]

ثالثاً: أن العلماء توصـلوا إلى أسـباب الشـقوق الموجودة على كوكب المريخ وقالوا أنها تمثل على الأرجح الذوبان والتجمد الموسـميين للجليد الكامن تحت السـطح ببضـع بوصـات، أما القمر فتحت شــقوقه حمم ومواد بركانية لا تذوب مثل الجليد لتحدث شــقوق مثل شــقوق المريخ[(٣)]

رابعاً: أن المريخ كوكب يصل حجمه إلى أكثر من نصف حجم كوكب الأرض تقريباً. أما القمر فهو تابع للأرض وليس بكوكب فهو تابع يدور حولها وهو أصــغر الأجرام الســماوية وحجمه يساوي ربع حجم الأرض تقريباً هذا من ناحية الحجم بين القمر والمريخ. [(٤)]

إذاً: فحجتكم بشـقوق المريخ حجة باطلة واهية لا يصلح الاستشـهاد بها ولا تدل إلا على جهل

---

(٢) انظر بوابة المريخ / ar.wikipwdia.org /wiki

(٣) انظر المرجع السابق.

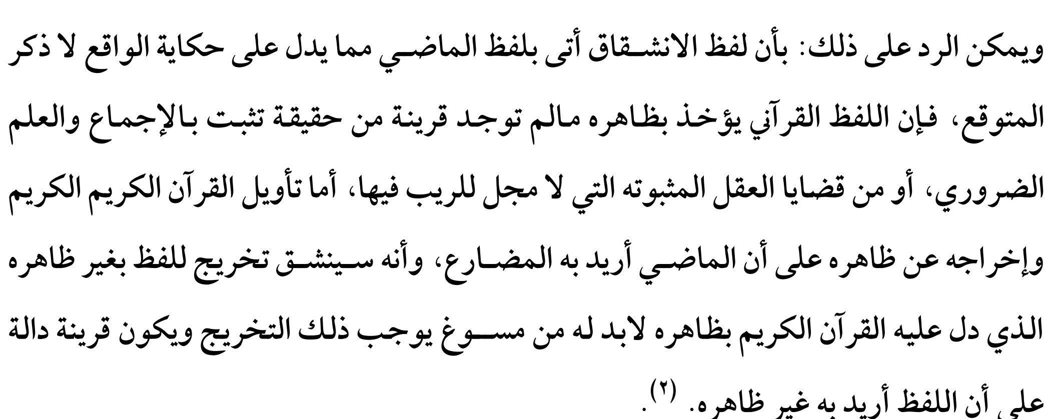
(٤) الفرق بين المريخ والقمر رابط الموقع / ar.wikipwdia.org /wiki.



قائلها.

الرد على الشبهة السابعة:

زعم بعض من يدعي التأويل أن القمر لم ينشقّ وأنه إنما ينشق يوم القيامة. وأن حدوثه علامة من علامات يوم القيامة ففي سورة القمر الآية الأولى حيث ورد "اقتربت الساعة وانشق القمر" تجد تلازمًا وترابطًا بين حادثين، حادث اقتراب الساعة، وحادث انشقاق القمر فالآية تقول لن ينشق القمر إلا إذا اقتربت الساعة.



ويمكن الرد على ذلك: بأن لفظ الانشقاق أتى بلفظ الماضي مما يدل على حكاية الواقع لا ذكر المتوقع، فإن اللفظ القرآني يؤخذ بظاهره مالم توجد قرينة من حقيقة تثبت بالإجماع والعلم الضروري، أو من قضايا العقل المثبوته التي لا مجل للريب فيها، أما تأويل القرآن الكريم الكريم وإخراجه عن ظاهره على أن الماضي أريد به المضارع، وأنه سينشق تخريج للفظ بغير ظاهره الذي دل عليه القرآن الكريم بظاهره لابد له من مسوغ يوجب ذلك التخريج ويكون قرينة دالة على أن اللفظ أريد به غير ظاهره. [٢].

كما إنَّ فِي قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: {وَإِنْ يَرَوْا آيَةً} [القمر: ٢] يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ دَلِيلًا عَلَى خِلَافِ مَا ذكروه فِيهَا، وَدَلِيلًا عَلَى أَنَّ ذَلِكَ لَمْ يَعْنِ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ; لِأَنَّ الْآيَاتِ إِنَّمَا تَكُونُ فِي الدُّنْيَا قَبْلَ الْقِيَامَةِ، كَمَا قَالَ اللهُ وَتَعَالَى: {وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا} [الإسراء: ٥٩] وَفِي قَوْلِهِ تَعَالَى: {فَتَوَلَّ عَنْهُمْ} [القمر: ٦]: أَيْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ كَمَا قَالَ تَعَالَى: {فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ} [الصافات: ١٧٤]، وَكَمَا قَالَ: {فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ} [الذاريات: ٥٤] دَلِيلٌ عَلَى تَمَامِ الانشقاق ثم ذكر هؤلاء المتأولين أن المراد بقول ابن مسعود: " كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِ فِلْقَتَيْنِ وَحِرَاءُ بَيْنَهُمَا " أَيْ كَأَنِّي أَرَاهُ إِذَا انْشَقَّ كَذَلِكَ فهَذَا كلام فَاسِد، لِأَنَّهُم قَدْ نَفَوا انْشِقَاقَهُ فِي زَمَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ وَذَكَرُوا أَنَّ انْشِقَاقَهُ يَكُونُ بَعْدَ ذَلِكَ فَإِنْ كَانَ كَمَا قَالَوا فَقَدْ يَجُوزُ أَنْ لا يَرَاهُ ابْنُ مَسْعُودٍ حِينَئِذٍ. وَقَدْ يَجُوزُ أَنْ يَرَاهُ حَيْثُ قَالَوا: وَيَجُوزُ أَنْ يَرَاهُ فِي غَيْرِ ذَلِكَ الْمَكَانِ، وَقَدْ زَعَمُوا أَنَّ ذَلِكَ إِنَّمَا يَكُونُ فِي

---

(٢) انظر خاتم النبيين للشيخ أبو زهرة ص٥٥٧ .

الْقِيَامَةِ لَا فِي الدُّنْيَا، وَحِرَاءُ يَوْمَئِذٍ جَبَلٌ مِنَ الْجِبَالِ الَّتِي قَالَ اللهُ تَعَالَى خَبَرًا عَمَّا يَكُونُ مِنْهُ فِيهَا يَوْمَئِذٍ: {وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا، فَيَذَرُهَا} [طه: ١٠٦] الْآيَةَ، وَقَالَ: {وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً} [الكهف: ٤٧] وَقَالَ: {وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ} [القارعة: ٥] فَكَيْفَ يَكُونُ حِرَاءُ يَوْمَئِذٍ بَيْنَ فِلْقَتَيِ الْقَمَرِ؟. (٢)



الخلاصة:

إن معجزة انشـقاق القمر من أوضـح دلائل صـدق نبوة سـيدنا محمد ﷺ، وهذه المعجزة تتمتع أكثر من غيرها، بثبوت قوي حيث براهينها ساطعة. وأدلتها ناصعة؛ فقد نص القرآن الكريم نصـًا صـريحـًا على هذه المعجزة بالذات. فقال تعالى ﴿ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ ۝١﴾ **[سـورة القمر**: ١]. وإلى جانب ذلك فقد جاءت الأحاديث الدالة عليها في كل من البخاري ومسـلم والإمام أحمد والبيهقي وبقية أهل السـنن والطبراني والطحاوي. وممن روى ذلك من الصـحابة: علي وابن مسعود وابن عمر وجبير بن مطعم وأنس بن مالك وعبدالله بن عباس وحذيفة بن اليمان - رضي الله عنهم جميعـًا -

فهي معجزة قطعية الثبوت بلغت مبلغ التواتر. كما تم توثيق حدوثها علميـًا وتاريخيا.

وقد أجمع أهل السنن والمفسرون على وقوع انشقاق القمر لنبينا محمد ﷺ خاصة. ولم يحدث أن انشق لنبي من الأنبياء قبله عليه الصلاة والسلام. ولا ريب أن انشقاق القمر آية عظيمة لا يكاد يعدلها شـيء من آيات الأنبياء. ولذا اختص بها خاتمهم وسـيدهم محمد ﷺ وذلك أنه ظهر في ملكوت السموات خارجا عن جملة طباع ما في هذا العالم المركب من الطبائع. فليس مما يطمع في الوصول إليه أحد بحيلة من الحيل.

---

(٢) شرح مشكل الآثار ٢/ ١٨٢.



الخاتمـــة

لما كان من الصعب على المستشرقين أن ينالوا من القرآن الكريم وجهوا سهام مطاعنهم إلى الحديث، محاولين تشويهه بمختلف الاتهامات والافتراءات، متذرعين بأتفه الذرائع، وهم يدركون تمام الإدراك دوره المكمل للقرآن الكريم في هداية الإنسانية وإسعادها.

فوجدوا أن أيسر وسيلة لتحقيق ذلك هو التشكيك في صحة نسبة الأحاديث إلى الرسول ﷺ عن طريق ادعاء الوضع فيها، في القرنيين الثاني والثالث الهجريين تلبية لمتطلبات المرحلة، وما طرأ على ساحتهم من تطورات في مجال الفتح والتوسع، ودخول شعوب أخرى الإسلام كما زعم ذلك " جولد تسيهر " الذي نظر إلى الحديث نظرة تشكيكية ممهداً السبيل لمن يأتي بعده من أمثال " شاخت " لينظر إليها على إنها موضوعة من قبل المسلمين.

والهدف الخبيث من وراء ذلك هو محاربة السنة بهدف اسقاطها حتى يفقد المسلمون الصورة التطبيقية الحقيقية لأحكام الإسلام ولحياة الرسول ﷺ وبذلك يفقد الإسلام أكبر عناصر قوته.

كما هدفوا أيضًا إلى:

- زعزعة إيمان المسلمين بقرآنهم ونبيهم محمد ﷺ.

- تشكيك المسلمين في الشريعة الإسلامية.

- حجب محاسن الدين الإسلامي عن العقل المسيحي حتى لا يقتنعوا به ومن ثم يعتنقونه.

- زرع تخاذلاً روحيًا وشعوراً بالنقص في النفوس المسلمة خاصة، والشرقيين عامة، وهذا الهدف موجود حتى الآن بالرغم من محاولة إخفائه، وذلك للعمل على تنصير المسلمين بمختلف الأساليب المتاحة والإغراءات المغلفة بحب العمل الإنساني للضعفاء والمحتاجين من المسلمين.

واعتمدوا في ذلك على الأحاديث الضعيفة، والأخبار الموضوعة، في سبيل تدعيم آرائهم وبناء

نظرياتهم.

وكان الهدف الاستراتيجي الديني من حملة التشويه ضد الإسلام هو حماية أوروبا من قبول الإسلام بعد أن عجزت عن القضاء عليه من خلال الحروب الصليبية.



لكن بالرغم مما تعرض له الحديث من مطاعن على أيدي بعض الفرق المنحرفة قديماً، وعلى أيدي المستشرقين، ومن نسج وينسج على منوالهم، واقتفى أثرهم من ضعاف الإيمان من المسلمين حديثاً، فإن آمال هؤلاء وأولئك قد خابت، وجهودهم قد ضاعت بفضل الله تعالى الذي قيض لحديث نبيه في كل عصر ومصر رجالاً يذودون عنه، ويزيلون ما يحاك حوله من شبهات ومفتريات على أسس علمية نزيهة، وقواعد وضوابط لم يشهد تاريخ البحث العلمي لها نظيراً، فظل الحديث نقياً صافياً كما تركه صاحبه عليه أفضل الصلاة والسلام، وسيظل كذلك ما دام هناك إسلام ومسلمون ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين.

نتائج هذا البحث ومنها:

- أن ما كتب حول شخصية النبي ﷺ بكل اللغات يفوق كل تصور، ويجاوز كل حساب، فإذا أضفنا إلى حساباتنا كتباً، ومقالات، ومؤلفات، عدت الرسول ﷺ عظيماً من أكبر العظام، وقائداً فذاً من أكبر القادة، هبطت أرقام الشخصيات العالمية وتدنت أسهمها، وبلغت شخصية الرسول ﷺ من خلال منظور العبقرية المجردة شأناً يتضاءل إلى جانبه كل ظل لأي شخصية مهما كبرت هالتها، ومهما ارتفع ذكرها، روحية كانت، أو فلسفية، سياسية أو عسكرية.

- شهادة المنصفين الغربيين بنبوة محمد ﷺ وإثبات الوحي ومن ذلك قول ديزيريه بلانشيه: "لقد أتى محمد ﷺ بكتاب تحدى به البشر جميعاً أن يأتوا بسورة من مثله، فقعد بهم العجز وشملتهم الخيبة، وبهتوا أمام ذلك الإخراج النبوي الذي أغلق في وجوههم كل باب "[٢]

(٢) دراسات في التاريخ الديني ديزيريه بلانشيه .



- منذ بداية بعثة النبي ﷺ، والمشركون يسعون للحد من وصول دعوته إلى الناس، مستخدمين لأجل هذه الغاية شتى الأساليب فكان من أساليبهم مطالبته بالإتيان بالمعجزات التي تثبت صدق دعوته ونبوته، مظهرين له استعدادهم أن يتبعوه ويؤمنوا به إذا جاءهم بما طلبوا، وفي الحقيقة هم يريدون بطلبهم تعجيزه ﷺ وإيقاعه في الحرج، وقد فضحهم الله تعالى وأخبر بنواياهم. قال ابن كثير – رحمه الله – (إن فيما اعترض به المشركون على رسول الله ﷺ وما تعنتوا له في أسئلتهم إياه أنواعًا من الآيات وخرق العادات على وجه العناد لا على وجه طلب الهدى والرشاد) (٢).

- إن المستشرقين – بزعمهم أنهم باحثون يشتغلون بدراسة الشرق – أرادوا بسط نفوذهم على الشرق من خلال أساليب متعددة، منها الدراسات الظالمة وغير المنصفة للدين الإسلامي.

- إن المستشرقين كانت لهم آراء متباينة في تفسير ظاهرة الوحي، فمنها الظالمة الجائرة البعيدة عن الأدلة العلمية التي يزعمون الاستناد إليها في أبحاثهم. ومنها المنصفة المتجردة.

- لابد من إغلاق أي ثغرة في دين الإسلام من شأنها أن تفتح بابًا لمن في قلبه مرض، فعندما أرسل الله تعالى رسوله عليه السلام كان الله سبحانه يعلم بأن هذا الدين القيم سينتشر مشرقًا ومغربًا ويعم جميع أرجاء المعمورة ولاحقًا سيدخل هذا الدين عباد من مختلف الأعراق والشعوب كانوا على أديان وثنية أو نصرانية أو مجوسية قد امتلأت عقولهم بفلسفات منبثقة عن خرافات وأوهام لا وجود لها. لذلك كان لابد من آيات ينزلها الله تعالى في كتابه ليحكم بها دينه القيم ولذلك يذكر الله تعالى في كتابه الليل والنهار وانشقاق القمر وانشراح الصدر وغير ذلك.

- أن الله – سبحانه وتعالى – بعد أن شق القمر وقسمه نصفين ثم أعاده صبَّ أو أسقط على شق القمر صهارة هي في أصلها من نفس مادة القمر ثم تركها حتى بردت فالتحم والتئم القمر، والجميل في الأمر أن الله تعالى أراد أن يبقي وصلات اللحام ليجعلها تبدوا كاللحام الذي يعرفه

(٢) البداية والنهاية لابن كثير ١/ ٧٣ .

الإنسان، وأظهر مكان وصل اللحام بشكل واضح ليكون دلالة على صدق معجزة النبي ﷺ.

- أن المعجزة الحية الباقية حتى يومنا هذا هي إنجازات الرسـول ﷺ التي كانت عمليـاً من ضروب الخوارق الإنسانية حين أخرج العرب من ظلمات الجاهلية إلى حضارة الإسلام.

وفي الختام: أسأل المولى جلَّ شأنه، أن يتقبل مني هذا الجهد بالقبول الذي هو أهله ﷻ فهو ولي ذلك والقادر عليه.

صدق الله وصل اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم



ثبت المراجـــع

أولاً: القرآن الكريم

ثانياً: كتب اللغة والمعاجم:

٢- التعريفات: لعلي بن محمد بن علي الجرجاني - طبعة دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان.

٢- لسان العرب: العلامة ابن منظور - طبعة دار الحديث - القاهرة ١٤٢٣هـ - -٢٠٠٣م.

٣ - محيط المحيط: المعلم بطرس البستان - طبعة لبنان - بيروت ١٩٧٧م.

٤- المصــباح المنير في غريب الشــرح الكبير: أحمد بن محمد بن علي الفيومي - طبعة المكتبة العلمية - بيروت.

٥ - المعجم الوسيط: مجمع اللغة العربية طبعة دار الدعوة القاهرة.



ثالثاً: مصادر السنة:

- الاحســان في تقريب ابن حبان بترتيب الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارســي تحقيق كمال يوسف الحوت ط دار الكتب العلمية بيروت - لبنان.

- أحوال الرجال: الإمام أبي اســحاق بن يعقوب الجوزجاني تحقيق الســيد صــبحي البدري ط مؤسسة الرسالة بيروت لبنان.

- البداية والنهاية: ابن كثير: مصورة مكتبة المعارف بيروت.

- التاريخ الصغير: الإمام أبي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري ط دار المعرفة لبنان - بيروت.

- تدريب الراوي في شــرح تقريب النواوي: الإمام جلال الدين الســيوطي ط دار الفكر بيروت -

لبنان.

- تذكرة الحفاظ: الإمام أبو عبدالله شمس الدين محمد الذهبي ط دار الكتب العلمية

- تقريب التهذيب: الإمام أحمد بن علي بن حجر العسقلاني.

- التمهيد لما في الموطأ من الأسانيد: الإمام أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري.

- تهذيب التهذيب: للحافظ شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن حجر العسقلاني –ت طبعة دار إحياء التراث العربي – بيروت – لبنان.

- تهذيب الكمال في أسماء الرجال: أبي حجاج يوسف المزي ط مؤسسة الرسالة.

- الثقات: الإمام أبي حاتم محمد بن حبان البستي ط مجلس دائرة المعارف العثمانية – الهند.

- جامع الأصول في أحاديث الرسول: الإمام ابن الأثير الجزري ط دار الفكر.

- جامع الصحيح سنن الترمذي: الإمام محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي.

- دلائل النبوة: للبيهقي علق عليه د. عبدالمعطي قلعجي ط: دار الكتب العلمية – بيروت.

- رد شبهات حول عصمة النبي ‘: د. عماد الشربيني، دار الصحيفة مصر ط١.

- السنة ومكانتها في التشريع: الدكتور مصطفى السباعي طبعة المكتب الإسلامي.

- سنن أبي داود: للحافظ أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني – طبعة دار الفكر – تحقيق محمد جميل.

- سنن ابن ماجه: بشرح الإمام أبي الحسن الحنفي المعروف بالسندي- طبعة دار المعرفة – بيروت – لبنان.



- سنن الدارمي: للأمام أبي محمد عبد الله بن بهزام الدارمي - طبعة دار الفكر - بيروت.

- السنن الكبرى للبيهقي: تحقيق علاء الدين علي بن عثمان الماريني - طبعة دار الكتب العلمية - بيروت.

- السنن الكبرى للنسائي: أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي ط دار الكتب العلمية.

- سيرة ابن هشام: تحقيق محمد عبدالحميد، مصر، المكتبة التجارية الكبرى.

- صحيح البخاري (الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ' وسننه وأيامه) محمد بن إسماعيل البخاري ط دار ابن خلدون.

- صحيح ابن خزيمة: الإمام محمد بن إسحاق بن خزيمة، تحقيق محمد مصطفى الأعظمي. بيروت، المكتب الإسلامي.

- صحيح مسلم: لأبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري - طبعة دار الحديث تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي.

- فقه السيرة: للإمام محمد الغزالي، طبعة دار الدعوة للطباعة والنشر.

- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال: علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين ط بيروت: مؤسسة الرسالة

-المستدرك على الصحيحين: للحافظ أبي عبد الله الحاكم النيسابوري وبذيله التلخيص للحافظ الذهبي - طبعة دار الكتب العلمية - بيروت.

- مسند أحمد بن حنبل: الإمام أحمد بن حنبل أبو عبدالله الشيباني ط مؤسسة قرطبة - مصر.

- مصنف عبدالرزاق: الإمام أبو بكر عبدالرزاق بن همام الصنعاني ط المكتب الإسلامي بيروت.

- المعجم الأوسط: الإمام أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني ط دار الحربية القاهرة.

- المعجم الصغير: الإمام أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني.

- المعجم الكبير: الإمام أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني.

- معرفة علوم الحديث: الإمام أبي عبدالله الحاكم ط دار الكتب العلمية.

- مناهل العرفان محمد عبدالعظيم الزرقاني ط دار إحياء الكتب العربية.

- مقدمات النبوة واعداد الرسول ‘ ومعجزاته وخصائصه: يحيى إسماعيل دار الوفاء – مصر.

- **منهج النقد عند المحدثين: الدكتور مصطفى الأعظمي، طبعة دار الفكر دمشق.**

- **ميزان الاعتدال في نقد الرجال: شمس الدين الذهبي طبعة دار المعرفة بيروت.**

- النبأ العظيم: محمد عبدالله دراز، تحقيق عبد الحميد الدخاخني، الإسكندرية، دار المرابطين.

- النبوة المحمدية دلائلها وخصائصها: د محمد أحمد المسير، دار الاعتصام، القاهرة ط٣.

- الوحي المحمدي، محمد رشيد رضا، مؤسسة عز الدين، بيروت.

رابعاً: المصادر الحديثة:

- **الأبطال: توماس كارليل، ترجمة: محمد السباعي. نشر مكتبة مصر.**

- **الأدب في أسيا: يورسورث سميث [نسخة pdf من شبكة المعلومات الدولية].**

- **الأدلة على صــدق النبوة المحمدية ورد الشــبهات عنها، هدى عبدالكريم مرعي، عمان، دار الفرقان.**

- **الاستشراق الخلفية الفكرية للصراع الحضاري: محمود حمدي زقزوق**

- **الاستشراق: ادور سعيد، مؤسسة الأبحاث العربية ط الأولى ١٩٨١م.**

- **الاستشراق والمستشرقون دكتور مصطفى حسني السباعي ت (١٣٨٤هـ-) طبعة: دار الوراق**



للنشر والتوزيع – المكتب الإسلامي.

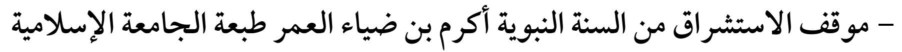
– الإسلام والمستشرقون: عبد الجليل شلبي، ط دار الشعب.

– حضارة العرب: جوستاف لوبون طبعة دار إحياء التراث العربي بيروت ط٣.

– الرسول في الدراسات الاستشراقية المنصفة: محمد شريف الشيباني، دار الحضارة، بيروت.

– الرسول في دراسات المستشرقين: نذير حمدان، سلسلة دعوة الحق، رابطة العالم الإسلامي مكة.


– العقيدة والشريعة الإسلامية جولد تسيهر، دار الكتب الحديثة، مصر.


– موقف الاستشراق من السنة النبوية أكرم بن ضياء العمر طبعة الجامعة الإسلامية

– نقد كتاب حياة محمد: عبدالله بن علي النجدي. ط الرحمانية (١).

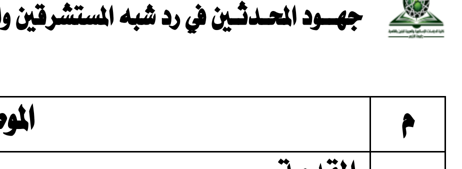
خامساً: المواقع الإلكترونية:

-- بوابة المريخ /ar. wikipwdia. org/wiki

- رابط الموقع، www. jameatalerman. org

- رابط وكالة ناسا: htt: //history. nasa. gov/sp-362/ch5. 6. htm





فهرس البحث





مجلة
كلية
الدراسات
الإسلامية
والعربية